

إتحاف البَرِية

بشرح

لامية شيخ الإسلام ابن تيمية



الطبعة الثانية

١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م

رقم الإيداع: /٢٠١٩م

دار الحديث

للعلوم الشرعية

مسجد ذي النورين . اليمن . ذمار

almawdiei@gmail.com

إِتْحَافُ الْبَرِيَّةِ

بشرح

لامية شيخ الإسلام ابن تيمية

لأبي عمار

وهبان بن مرشد الموادعي

تقديم فضيلة الشيخ الداعية الكبير

عبد الله بن عثمان الذماري

دار الحديث

للعلوم الشرعية


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ الداعية الكبير عبد الله بن عثمان الذماري حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله رب العالمين، مالك يوم الدين، إله الأولين والآخرين، وخالق الخلق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد: قد اطلعت علىٰ ما كتبه أخونا الفاضل الشيخ وهبان بن مرشد المودعي - حفظه الله وبارك فيه وسدده - بعنوان «**إتحاف البرية بشرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية**»، وهذه الأبيات مكونة من ستة عشر بيتًا، أبان فيها شيخ الإسلام عقيدته ومذهبه في الصحابة والقرابة، وعقيدته في القرآن أنه كلام الله منزل من عند الله، وبين عقيدته في صفات الله وفي علوه، وأنه ينزل إلىٰ سماء الدنيا كما جاءت به الأدلة نزولًا يليق بجلاله، وأن المؤمنين يرونه يوم القيامة كما جاءت به النصوص، وأثبت فيها الحوض والميزان والصراط، وأن الناس علىٰ قسمين؛ منهم المعذب في قبره، ومنهم المنعم، وأن الناس يوم القيامة فريقان؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير، كما جاءت به نصوص الكتاب والسنة، وبين أن هذا مذهب الصحابة رضي الله عنهم ومذهب من صار علىٰ طريقتهم، واقتفىٰ أثرهم، وأن هذا هو مذهب أهل الحق، ولقد شرح هذه الأبيات الشيخ

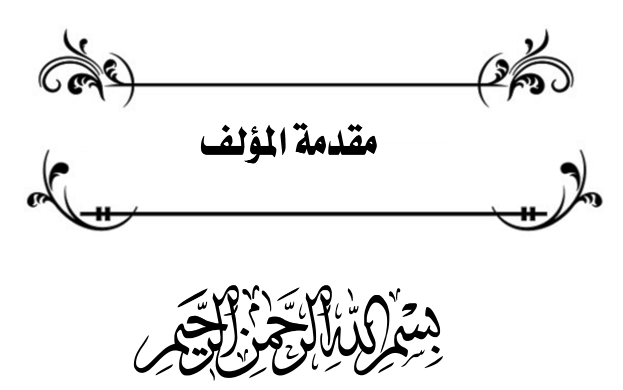
وهبان – حفظه الله – شرحًا مفصلًا متوسطًا غير ممل ولا مخل، وقد دلل علىٰ شرحه بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء المتقدمين والمتأخرين؛ فهي رسالة مباركة بما حوت من النصوص، وهي جديرة بأن تنشر وأن يطلع عليها طلبة العلم وعامة المسلمين، بل والعلماء فجزىٰ الله أخانا وهبان خير الجزاء علىٰ ما قام به، ونسأل الله أن يجعلها ذخرًا له عند الله وأن ينفع بها المسلمين، وأن يرزقنا وإياه الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا وإياه سائرين علىٰ طريق أهل الحق والرشاد؛ إنه رحيم كريم ودود.

كتبه

أبو منير عبد الله بن محمد بن علي عثمان القيسي الذماري

شعبان ١٤٣٣هـ





مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد، وبسط الأرض ومهد، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيدًا واعترافًا له بالألوهية والربوبية، رب كل شيء ومليكه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله بعث إلىٰ الخلق كافة، فأنار الطريق، وأوضح السبيل صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا؛ أما بعد:

فقد منَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علي أن قمت بتدريس إخواني شرح اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرأيت أنه من باب الحرص علىٰ الإفادة، ولأهمية هذه اللامية التي حرر فيها شيخ الإسلام المعتقد الصحيح، وأبان فيها المنهج السديد، أحببت أن أكون ممن شارك في شرحها، وقد شرح هذه اللامية بعض الشراح فجزاهم الله خيرًا، وأحببت أن أكون ممن شارك في هذا الخير مع زيادات مهمة ومسائل ملمة في بابها يجدها القارئ في ثنايا الرسالة، وقد جعلت الشرح وسطًا بدون إخلال ولا إملال.

وهي تتكون من ستة عشر بيتًا ننصح بحفظها؛ لقلة أبياتها ولعظيم الفائدة فيها.

وقد قمت بالشرح مع الرجوع إلىٰ بعض الشروح في العقيدة والنقل من

أقوال الأئمة والمشي بسير سلف الأمة. واعتقادنا هو عقيدة أهل السنة والجماعة بفهم سلف هذه الأمة، والفضل في هذا لله وحده لا شريك له، له الحمد والمنة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونسأل الله تعالىٰ أن يعفو عما حصل من الزلل، وأن يتجاوز عما نعلم وما لا نعلم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.

تنبيه:

قد يجد القارئ اختلافًا في أرقام الصفحات في المراجع، وما ذاك إلا بسبب أن كتابة البحث كانت علىٰ مراحل متعددة؛ بسبب أني كان لي بعض البحوث قدمتها علىٰ غيرها للمصلحة؛ مثل كتاب «صعقة إنذار بما في الخروج علىٰ الحكام من المفاسد والأضرار»، وكتاب «إقامة البينات علىٰ تحريم المظاهرات»، والله الموفق.

كتبه

أبو عمار وهبان بن مرشد الموادعي

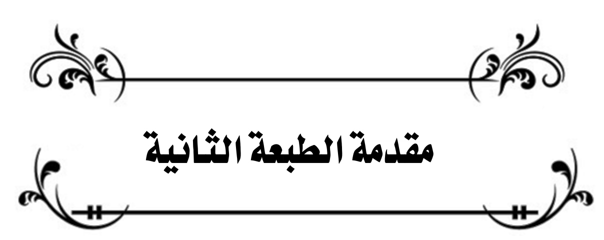
٤ رجب ١٤٣٣هـ

دار الحديث للعلوم الشرعية

مسجد ذي النورين

اليمن – ذمار





مقدمة الطبعة الثانية

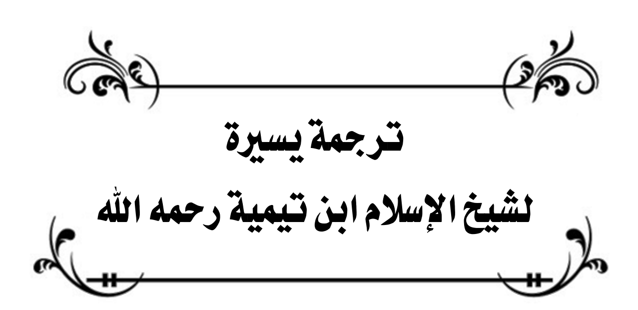
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ رسولنا الأمين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

أخي القارئ الكريم، هذه هي الطبعة الثانية من كتابي «إتحاف البرية بشرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» وهذه الطبعة قد أضفنا إليها بعض ما يحتاج إلىٰ الإضافة، وحذفنا ما رأينا أن في حذفه مصلحة لاختصار الرسالة؛ فهذه الطبعة هي الناسخة للطبعة الأولىٰ، أسأل الله أن ينفع بهذا الشرح، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم؛ إنه سميع مجيب.

٢٦ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ





ترجمة يسيرة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

١- نسبه وولادته:

هو شيخ الإسلام الحافظ المجتهد تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي.

ولد بحران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة (٦٦١) إحدىٰ وستين وستمائة، وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار علىٰ البلاد إلىٰ دمشق سنة (٦٦٧هـ).

٢- مشايخه وتحصيله للعلم:

أخذ الفقه والأصول عن والده، وسمع من خلق كثير؛ منهم: الشيخ شمس الدين، والشيخ زين الدين بن المنجا، والمجد بن عساكر، وقرأ العربية علىٰ ابن عبد القوي، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه، وعني بالحديث وسمع الكتب الستة و«المسند» مرات، وأقبل علىٰ تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك، ورد علىٰ أكابر المتكلمين والفلاسفة، وتأهل للفتوىٰ والتدريس وله دون العشرين من السنين، وتضلع في علم الحديث وحفظه.

وكان سريع الحفظ، قوي الإدراك، آية في الذكاء، رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرًا في النقليات، وكان له باع طويل في مذاهب الصحابة والتابعين.

٣- اشتغاله بالتدريس:

كان والده من كبار أئمة الحنابلة، فلما مات خلفه في وظائفه، وكان عمره تسع عشرة سنة، فاشتهر أمره، وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير القرآن الكريم أيام الجمع من حفظه.

قال عنه الحافظ أبو حفص عمر بن علي البزار - وكان من معاصريه -: «لقد كان إذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته والدرس بزمانه وهو في تفسير بعض آية منها.

وقد منحه الله تعالىٰ معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم، وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل، وما روي عن كل منهم من راجح ومرجوح ومقبول ومردود، حتىٰ كان إذا سئل عن شيء من ذلك كأن جميع المنقول عن الرسول ﷺ وأصحابه والعلماء فيه من الأولين والآخرين - متصور مسطور بإزائه.

وهذا قد اتفق عليه كل من رآه أو وقف علىٰ شيء من علمه ممن لم يغلظ عقله الجهل والهوىٰ» انتهىٰ.

وقال أيضًا: «وأما ذكر دروسه: فقد كنت في حال إقامتي بدمشق لا أفوتها، وكان لا يهيئ شيئًا من العلم ليلقيه ويورده، بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه ويصلي علىٰ رسوله ﷺ علىٰ صفة مستحسنة مستعذبة لم أسمعها من غيره، ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفروض ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء، ونقْد بعضها

وتبيين صحتها وتزييف بعضها وإيضاح حجته، واستشهاد بأشعار العرب، وربما ذكر اسم ناظمها، وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ويفيض كما يفيض البحر... من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن، بل فيض إلهي حتىٰ يبهر كل سامع وناظر، فلا يزال كذلك إلىٰ أن يصمت، ولكن أراه حينئذ كأنه قد صار بحضرة من يشغله عن غيره، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب ويحير الأبصار والعقول».

«وكان لا يذكر رسول الله ﷺ قط إلا ويصلي ويسلم عليه، ولا والله ما رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لرسول الله ﷺ ولا أحرص علىٰ اتباعه ونصر ما جاء به منه، حتىٰ كان إذا أورد شيئًا من حديثه في مسألة، ويرىٰ أنه لم ينسخه شيء غيره من حديثه؛ يعمل به ويقضي ويفتي بمقتضاه، ولا يلتفت إلىٰ قول غيره من المخلوقين كائنًا من كان، وقال رَضِوَاللَّهُعَنهُ: «كل قائل إنما يحتج لقوله لا به، إلا الله ورسوله ﷺ».

وكان إذا فرغ من درسه يفتح عينيه، ويقبل علىٰ الناس بوجه طلق بشيش وخلق دمث كأنه قد لقيهم حينئذ، وربما اعتذر إلىٰ بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال.

ولقد كان درسه الذي يورده حينئذ قدر عدة كراريس، وهذا الذي ذكرته من أحوال دروسه؛ أمر مشهود يوافقني عليه كل حاضريه، وهم بحمد الله خلق كثير لم يحصر عددهم علماء ورؤساء وفضلاء من القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء وغيرهم من عوام الناس». انتهىٰ كلام البزار في كتابه «الأعلام العلية».

٤- مؤلفاته:

لشيخ الإسلام ابن تيمية مؤلفات قيمة ضخمة ورسائل وفتاوىٰ، بلغ الموجود منها مجلدات ضخمة وعديدة، طبع منها حسب علمي خمسة وستون مجلدًا، وهي:

١- (مجموع الفتاوىٰ)، خمسة وثلاثون مجلدًا، قد طبع عدة مرات، ووزع في كثير من الأقطار الإسلامية، وانتفع به المسلمون؛ لما يحويه من علم غزير في العقائد والفقه والتفسير والحديث والأصول.

٢- (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، وقد طبع في عشرة مجلدات.

٣- (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، رد علىٰ شبه النصارىٰ، وقد طبع في أربعة مجلدات.

٤- (منهاج السنة النبوية في الرد علىٰ الشيعة والقدرية)، وقد طبع في ثمانية مجلدات محقَّقة.

٥- (الفتاوىٰ المصرية)، وقد طبع في خمسة مجلدات.

٦- (الاختيارات الفقهية)، وقد طبع في مجلد.

٧- (القواعد النورانية الفقهية)، وقد طبع في مجلد.

٨- (نقض مناهج التأسيس)، وقد طبع الموجود منه في مجلدين.

٩- (إقامة الدليل علىٰ إبطال التحليل)، وقد طبع في مجلد.

١٠- (شرح العقيدة الأصفهانية)، وقد طبع في مجلد.

١١- (الصفدية)، وقد طبع المجلد الأول منها، والبقية في الطريق إن شاء الله.

١٢- (الاستقامة)، وقد طبع المجلد الأول منه، والبقية في الطريق إن شاء الله.

١٣- (كتاب الإيمان)، وقد طبع في مجلد.

١٤- (كتاب نقض المنطق)، وقد طبع في مجلد.

١٥- (كتاب النبوات)، وقد طبع في مجلد.

١٦- (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، وقد طبع في مجلد.

هذا ولا يزال الكثير من كتبه ورسائله وفتاويه مفقودًا، ويعثر بين حين وآخر علىٰ شيء منه، فيبادر من وجده إلىٰ نشره للانتفاع به.

وقد جُمعت كتبه في هذا العصر، وانتفع بها الخلق الكثير؛ لما تحويه من العلم الغزير والتحقيق والتدقيق والأصالة، وقد شهد بذلك كل من اطلع عليها ممن لم تأخذه العصبية الجاهلية والتقليد الأعمىٰ.

٥- ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن كثير: «وقلّ أن سمع شيئًا إلا حفظه، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيًّا، كثير الحفظ؛ فصار إمامًا في التفسير وما يتعلَّق به، عارفًا بالفقه؛ فيقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، وكان عالمًا باختلاف العلماء، عالمًا في الأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قطع في مجلس، ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون؛ إلا ظن أن ذلك الفن فنه ورآه عارفًا به متقنًا له، وأما الحديث فكان حاملًا رايته حافظًا له مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله متضلعًا في ذلك، وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع». اهـ.

وقال الحافظ المزي في الثناء عليه: «ما رأيت مثله، ولا رأىٰ هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه».

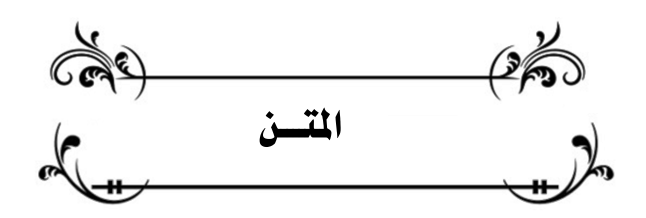
وقال الحافظ ابن دقيق العيد: «لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلًا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد، ويدع ما يريد».

وقال إبراهيم الرقي: «إن ابن تيمية يؤخذ عنه، ويقلد في العلوم، فإن طال عمره ملأ الأرض علمًا وهو علىٰ الحق، ولا بد من أن يعاديه الناس؛ لأنه وارث علم النبوَّة».

وقال ابن الحريري: «إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو؟».

نَقَلَ هذه الأقوال عن هؤلاء الأئمة في الثناء علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية – الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه «الكواكب الدرية»، وانظر («من أعلام المجددين» ص(٣٥) وما بعدها) للشيخ الفوزان حفظه الله تعالىٰ.





المتــن

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يَـا سَـائِلي عَـنْ مَـذْهَبِي وَعَقِيـدَتِي ... رُزِقَ الْهُـدَىٰ مَـنْ لِلْهِدَايَـةِ يَسْـأَلُ

اسْـمَعْ كَـلَامَ مُحَقِّـقٍ فِي قَوْلِـهِ ... لا يَنْـثَنِي عَنْـهُ وَلا يَتبَـدَّلُ

حُـبُّ الصَّـحَابَةِ كُلِّهِـمْ لـي مَـذْهَبٌ ... وَمَـوَدَّةُ القُرْبـىٰ بِـها أَتَوَسَّـلُ

وَلِكُلِّهِـمْ قَـدْرٌ عَـلَا وَفَضَائِـلٌ ... لكِنَّمـا الصِّـدِّيقُ مِـنْهُمْ أَفْضَـلُ

وأقـول فِي القُـرآنِ مـا جـاءَتْ بِـه ... آياتُـهُ فَهُـوَ الكريـم المُنْـزَلُ

وَأَقُـولُ قـال اللهُ جَـلَّ جَلَالُـهُ ... والْمُصْـطَفَىٰ الهـادِي وَلَا أَتَـأَوَّلُ

وجميـعُ آيَـاتِ الصِّـفاتِ أُمِرُّهَـا ... حَقًّـا كمـا نَقَـلَ الطِّـرَازُ الأَوَّلُ

وأَرُدُّ عُهْـدتها إلـىٰ نُقَّـالِها ... وأصـونُها عـن كُـلِّ مـا يُتَـخَيَّلُ

قُبْحًـا لِمَـنْ نَبَـذَ القـران وراءَهُ ... وإذا اسْـتَدَلَّ يقـولُ قـالَ الأخطَـلُ

والمؤمنـون يَـرَوْنَ حقًّـا ربَّهُـمْ ... وإلـىٰ السَّـماءِ بِغَيْـرِ كَيْـفٍ يَنـْزِلُ

وأُقِـرُّ بـالميزانِ والحَـوضِ الـذي ... أَرجـو بـأَنِّي مِنْـهُ رِيًّـا أَنْهَـلُ

وكـذا الصِّـراطُ يُمَـدُّ فـوقَ جَهَـنَّمٍ ... فَمُسَـلَّمٌ نَـاجٍ وآخَـرُ مُهْمَـلُ

وَالنَّـــارُ يَصْـــلاها الشَّـــقيُّ بِحِكْمَـــةٍ ... وكَـذا التَّقِـيُّ إلىٰ الجِنَـانِ سَـيَدْخُلُ

وَلِكُـــلِّ حَـــيٍّ عاقـــلٍ في قَـــبرِهِ ... عَمَـــلٌ يُقارِنُـــهُ هنـــاك وَيُسْـــأَلُ

هـــذا اعتقـــادُ الشـــافِعيِّ ومالـــكٍ ... وأبـي حنيفـةَ ثـم أحمـدَ يُنْقَـلُ

فـــإنِ اتَّبَعْـــتَ ســـبيلَهُمْ فَمُوَفَّـــقٌ ... وإنِ ابْتَـدَعْتَ فَمـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ

الشَّرح

قولهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

يَـا سَـائِلي عَـنْ مَـذْهَبِي وعَقيـدَتِي ... رُزِقَ الْهُـدىٰ مَـنْ لِلْهِدايـةِ يَسْـأَلُ

كلامه هذا رَحِمَهُ ٱللَّهُ **علىٰ حالين**: الأولىٰ: إما أن يكون سُئل فأجاب، أو يكون منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيانًا لمن أراد أن يعرف عقيدته.

وفي هذا أهمية سؤال أهل العلم والدين، وقد أُمرنا بهذا عند الإشكاليات والنوازل وعدم المعرفة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٣]، ويقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤].

يقول الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «هذا ويسرني أن أختم نصيحتي هذه بخمسة أمور هي جماع الخير كله: **الأول**: الإخلاص لله وحده في جميع القربات القولية

والعملية، والحذر من الشرك كله دقيقه وجليله، وهذا هو أوجب الواجبات وأهم الأمور، وهو معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، ولا صحة لأعمال العباد وأقوالهم إلا بعد صحة هذا الأصل وسلامته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

الأمر الثاني: التفقُّه في القرآن وسنة الرسول ﷺ، والتمسُّك بهما، وسؤال أهل العلم عن كل ما أشكل عليكم في أمر دينكم، وهذا واجب علىٰ كل مسلم، ليس له تركه والإعراض عنه، والسير وراء رأيه وهواه بدون علم وبصيرة، وهذا هو معنىٰ شهادة أن محمدًا رسول الله؛ فإن هذه الشهادة توجب علىٰ العبد الإيمان بأن محمدًا ﷺ هو رسول الله حقًّا، والتمسك بما جاء به وتصديقه فيما أخبر به»[(١)].

ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فالواجب علىٰ جميع المكلفين من الرجال والنساء التعلُّم والتفقه في الدين عن طريق القرآن والسنة وسؤال أهل العلم والتبصر»[(٢)].

قوله: (عن مذهبي) المذهب: المتوضَّأ والمعتقد الذي يذهب إليه والطريقة والأصل، انظر: (القاموس، مادة: ذهب).

وليس مراد شيخ الإسلام بقوله: (مذهبي)؛ التقليد له في مذهبه؛ إذ التقليد للأشخاص مذموم عند أهل العلم، وشيخ الإسلام أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يذم التقليد؛ لأن الأصل هو الكتاب والسنة، وقد تكلَّم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن تقليد العامي فقال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «هل يلزم العامي أن يتمذهب ببعض المذاهب

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ١٤٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٣/ ٣٣٨).

المعروفة أم لا؟ فيه مذهبان: أحدهما: لا يلزمه، وهو الصواب المقطوع به؛ إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ولا رسوله علىٰ أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة، فيقلده دينه دون غيره، وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة مبرأً أهلها من هذه النسبة... ولا يلزم أحدًا قط أن يتمذهب بمذهب رجل من الأمة بحيث يأخذ أقواله كلها، ويدع أقوال غيره، وهذه بدعة قبيحة حدثت في الأمة لم يقل بها أحد من أئمة الإسلام، وهم أعلىٰ رتبة وأجل قدرًا، وأعلم بالله ورسوله من أن يلزموا الناس بذلك.

وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بمذهب عالم من العلماء. وأبعد منه قول من قال: يلزمه أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة. فيا لله العجب! ماتت مذاهب أصحاب رسول الله ﷺ ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر أئمة الإسلام، وبطلت جملة إلا مذاهب أربعة أنفس فقط من بين سائر الأمة والفقهاء، وهل قال ذلك أحد من الأئمة أو دعا إليه، أو دلت عليه لفظة واحدة من كلامه عليه؟! والذي أوجبه الله تعالىٰ ورسوله علىٰ الصحابة والتابعين وتابعيهم؛ هو الذي أوجبه علىٰ من بعدهم إلىٰ يوم القيامة لا يختلف الواجب ولا يتبدل، وإن اختلفت كيفيته أو قدره باختلاف القدرة والعجز والزمان والمكان والحال، فذلك أيضًا تابع لما أوجبه الله ورسوله»[1] اهـ.

قوله: (وعقيدتي):

العقيدة في اللغة: يقول الزبيدي: «والذي صَرَّحَ به أَئِمَّةُ الاشتِقَاقِ: أَنَّ أَصلَ

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٢١٥).

العَقْدِ نَقِيض الحَلِّ، عَقَدَه يَعْقِده عَقْدًا وتَعْقَادًا، وعَقَّده، وقد انْعَقد، وتَعَقَّدَ، ثم اسْتُعْمِل في أَنْواعِ العُقُودِ من البُيوعاتِ، والعُقُود وغيرها، ثم استُعْمِل في التصميم والاعتقادِ الجَازِم»[١].

وأما تعريف العقيدة في الاصطلاح: فيقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فهو حكم الذهن الجازم، يقال: اعتقدت كذا. يعني: جزمت به في قلبي، فهو حكم الذهن الجازم، فإن طابق الواقع فصحيح، وإن خالف الواقع ففاسد؛ فاعتقادنا أن الله إله واحد صحيح، واعتقاد النصارىٰ أن الله ثالث ثلاثة باطل؛ لأنه مخالف للواقع، ووجه ارتباطه بالمعنىٰ اللغوي ظاهر؛ لأن هذا الذي حكم في قلبه علىٰ شيء ما كأنه عقده عليه، وشده عليه، بحيث لا يتفلت منه»[٢].

فائدة:

لفظ (عقيدة): قال الدكتور بادي: «العقيدة كلمة مولدة؛ فلم ترد هذه اللفظة في الكتاب أو السنة ولا في أمهات المعاجم».

وعلم العقيدة هو أجلُّ العلوم وأفضلها، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله؛ أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلىٰ سائر العلوم كنسبة معلومة إلىٰ سائر المعلومات، وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها، فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلىٰ الملك الحق المبين، ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته، وكل علم فهو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه؛ فالعلم به أصل كل علم كما أنه - سبحانه - ربُّ كل

(١) تاج العروس (٢/ ٤٢٦).

(٢) العقيدة الواسطية (١/ ٥٠).

شيء ومليكه وموجده»[١].

الفرق بين العقيدة والتوحيد: يقول الدكتور إبراهيم البريكان: «الفرق بين العقيدة والتوحيد:

(١) يجتمعان في أن كلًّا منهما يثبت الحق بدليله.

(٢) أن العقيدة أعم - من جهة موضوعها - من التوحيد؛ فإن كان التوحيد يقرِّر الحق بدليله فقط فإن العقيدة تقرره، وترد الشبهات، وتبين ما يقدح في الأدلة الخلافية، وتناقش الديانات والفرق.

(٣) أن الإيمان بالكتب والرسل والملائكة واليوم الآخر والإيمان بالقدر؛ تدخل في إطار العقيدة بالمطابقة وفي التوحيد بالالتزام»[٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (رُزِقَ الْهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَلُ):

وهذا الدعاء منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدل علىٰ حرصه علىٰ هداية المسلمين، وهذه أيضًا طريقة حميدة تستعمل في التأليف والتعليم؛ أعني طريقة الدعاء لطلبة العلم والمتعلمين ولمن يسألون عن أمور دينهم ودنياهم.

وقوله: (رُزِقَ الهدى):

الرزق قسمان:

الأول: الرزق العام (رزق الأبدان)، وهو الرزق المعد للأعضاء الذي به قوَّتها ومعاشها، وهذا يكون لجميع الناس البر والفاجر والمؤمن والكافر بل حتىٰ الحيوانات والجن.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩١).

(٢) المدخل لدراسة العقيدة، ص(١٥).

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وفي «صحيح البخاري» عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: قال النبي ﷺ: «**ما أحد أصبر علىٰ أذًىٰ سمعه من الله؛ يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم**»(١). وفي «صحيح مسلم» بلفظٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ قَيْسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَذًىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ**»(٢).

وهذا النوع من الرزق قد يكون حلالًا وقد يكون حرامًا، وإنما يسمىٰ الحرام رزقًا باعتبار سوقه للأعضاء وهدايتها لامتصاصه والانتفاع به؛ فيصح أن يقال: رزق الله. بهذا الاعتبار وإن كان إثمًا.

الثاني: الرزق الخاص، وهو نوعان:

١ـ رزق القلوب بالعلم النافع والإيمان الصحيح.

٢ ـ رزق الأبدان بالحلال(٣).

وقوله: (من للهداية يسأل):

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «فالهداية هي البيان والدلالة ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلىٰ البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتَّب عليه هداية التوفيق»(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٦٩٤٣).

(٢) صحيح مسلم (٧٢٦٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام (٨/ ١٣٢).

(٤) مدارج السالكين (١/ ١٧).

وأما سؤال المؤمن من الله الهداية: فيقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «فإن الهداية نوعان: **هداية مجملة:** وهي الهداية للإسلام والإيمان، وهي حاصلة للمؤمن، **وهداية مفصلة:** وهي هداية إلىٰ معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته علىٰ فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلًا ونهارًا، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه بالليل: «**اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(١)»(٢).

والهداية علىٰ أربعة أقسام: أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]؛ أي: أعطىٰ كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطىٰ كل عضو شكله وهيئته، وأعطىٰ كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلىٰ ما خلقه له من الأعمال.

وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلىٰ جلب ما ينفعه ودفع ما يضره وهداية الجماد المسخَّر لما خلق له؛ فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها.

وكذلك كل عضو له هداية تليق به؛ فهدىٰ الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له، وهدىٰ الزوجين من كل حيوان إلىٰ الازدواج والتناسل

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٧٠)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) جامع العلوم والحكم، شرح حديث رقم (٢٤).

وتربية الولد، وهدىٰ الولد إلىٰ التقام الثدي عند وضعه وطلبه، ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو؛ فتبارك الله رب العالمين.

وهدىٰ النحل إلىٰ أن تتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومن الأبنية، ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلىٰ بيوتها، وهداها إلىٰ طاعة يعسوبها واتباعه والائتمام به أين توجه بها، ثم هداها إلىٰ بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء، ومن تأمل بعضَ هدايته المثبوتة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

وانتقل من معرفة هذه الهداية إلىٰ إثبات النبوَّة بأيسر نظر وأول وهلة وأحسن طريق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة؛ فإنه لم يهمل هذه الحيوانات سدًىٰ، ولم يتركها معطلة، بل هداها إلىٰ هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها؛ كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضَّله علىٰ كثير من خلقه مهملًا وسدًىٰ معطلًا لا يهديه إلىٰ أقصىٰ كمالاته وأفضل غاياته، بل يتركه معطلًا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه، وهل هذا إلا مناف لحكمته، ونسبته له مما لا يليق بجلاله.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدىٰ التام؛ فإنها سبب وشرط لا موجب؛ ولهذا ينبغي الهدىٰ معها؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي: بينَّا لهم، وأرشدناهم، ودللناهم، فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا

يتخلَّف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وفي قوله: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وفي قول النبي: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»(١).

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص: ٥٦]، فنفىٰ عنه هذه الهداية، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾.

النوع الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلىٰ الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، وقال أهل الجنَّة فيها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣].

إذا عُرِفَ هذا فالهداية المسئولة في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾؛ إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة؛ فهي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام(٢).

وهناك أسباب للهداية؛ منها:

(١) التوحيد؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

(٢) تحقيق الإيمان؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن

---

(١) رواه مسلم برقم (٨٦٧)، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٢٧).

رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٥٤].

(٣) الاعتصام بالله؛ قال الله: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١].

(٤) الاتباع لما جاء به الرسول ﷺ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور: ٥٣، ٥٤].

(٥) اتباع سبيل الصحابة رضي الله عنهم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

(٦) الإنابة إليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

والأسباب كثيرة في هذا الباب، ونحن أردنا الاختصار.

قوله رحمه الله تعالىٰ:

(اسمَعْ كَلامَ مُحقِّقٍ في قَولِهِ ... لا يَنْثَني عَنهُ ولا يَتبَدَّلُ)

دعا المؤلِّف إلىٰ السمع لكلامه في الأبيات المذكورة؛ لأنها مأخوذة من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ، وهذا معتقد السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وقوله: (كلام محقق في قوله):

وفي هذا البيت مَدَحَ شيخُ الإسلام نفسَه بأنه «محققٌ في قوله».

والمدح على قسمين:

القسم الأوَّل: المدح لغرض إظهار العمل رياءً وسمعة؛ ليُقال عنه: إنه فعل كذا وكذا. وهذا هو المدح المذموم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

يقول المفسر الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ عند هذه الآية: «وَصَرَّحَ بِالنَّهْيِ الْعَامِّ عَنْ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ»(١).

ويقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ في تفسير سورة النساء عند هذه الآية: «وقوله: ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾، ومن زكىٰ نفسه فإنه أخذ بنصيب من مشابهتهم - أي اليهود والنصارىٰ - فمن قال: أنا ولي. أو: أنا تقيٌّ. أو ما شابه ذلك؛ فقد زكىٰ نفسه»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢]، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجامع لأحكام القرآن» عند هذه الآية: «دل الكتاب والسنة علىٰ المنع من تزكية الإنسان نفسه».

القسم الثاني من أقسام المدح للنفس: أن يكون المدح لغرض بيان أنه علىٰ حق، أو لحاجة دعت إلىٰ ذلك، أو لمصلحة شرعية؛ فإن هذا لا بأس به؛ فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال للملك: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره عند هذه الآية: «مدح نفسه - أي:

(١) أضواء البيان (١/ ٢٠١).

(٢) تفسير القرآن (١/ ٣٩٢) ط: دار ابن الجوزي.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -، ويجوز للرجل ذلك إذا جُهِل أمره للحاجة»[١].

ويقول المفسر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «إنما قال ذلك عند من لا يعرفه، فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنىً من قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾»[٢].

ومما يدل علىٰ جواز تزكية النفس للحاجة؛ ما جاء في البخاري: عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللهَ وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، فَحَفَرْتُهَا؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ**»، فَجَهَّزْتُهُمْ؟ قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ[٣].

وأيضًا ما جاء في البخاري عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[٤].

يقول الحافظ ابن حجر بعد كلام ابن مسعود هذا: «وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ، وَيُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَمِّ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ فَخْرًا أَوْ إِعْجَابًا»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٤٣٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ١٤٢) عند آية يوسف.

(٣) البخاري (٢٧٧٨).

(٤) البخاري (٤٧١٦).

(٥) فتح البخاري (٩/ ٦٤).

إشكال وجوابه:

لو قيل: كيف الجمع بين قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وبين قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩، ١٠]؟

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجواب: معنىٰ **(زكاها)**: أي: من عمل عملًا تزكو به نفسه، وليس المعنىٰ: من زكاها من أثنىٰ عليها ومدحها بأنها عملت وعملت، بل المراد عمل عملًا تزكو به نفسه؛ فلا معارضة بين الآيتين...، فالتزكية التي يُحْمَدُ عليها الإنسان أن يعمل الإنسان عملًا تزكو به نفسه، والتزكية التي يُذَمُّ عليها أن يدل بعمله علىٰ ربه، ويمدح وكأنه يمن علىٰ الله؛ يقول: صليت، وتصدقت، وصمت، وحججت، وجاهدت، وبررتُ والدي. وما أشبه ذلك»[(١)].

وقوله: (لا ينثني عنه ولا يتبدل):

وهذا بيان منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ليس تاركًا ولا متراجعًا عن هذه العقيدة التي يعتقدها؛ وذلك لأنها عقيدة حق مُستقاة من الكتاب والسنة، ومشىٰ عليها السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فكن ممن يعتقد هذه العقيدة - وفَّقك الله تعالىٰ -، وكن ممن يدافع عنها، ويدعو إليها.

ثم شرع في بيان هذه العقيدة فقال:

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبىٰ بِها أَتَوَسَّلُ

(١) تفسير القرآن، لابن عثيمين، سورة النجم ص(٢٣٧)، ط: دار الثريا.

قوله: (حُبُّ): المحبة ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوالًا كثيرة في تعريف المحبة، ثم قال: «ولا توصف المحبة، ولا تُحَدُّ بحد أوضح من المحبة، ولا أقرب إلىٰ الفهم من لفظها، وأما ذكر الحدود والتعريفات فإنما يكون عند حصول الإشكال والاستعجام علىٰ الفهم، فإذا زال الإشكال وعدم الاستعجام؛ فلا حاجة إلىٰ ذكر الحدود والتعريفات كما قال بعض العارفين: إن كل لفظ يعبر به عن الشيء فلا بد أن يكون ألطف وأرق منه، والمحبة ألطف وأرق من كل ما يعبر به عنها»(١).

قوله: (حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لي مَذْهَبُ):

تعريف الصحابي: هو من اجتمع بالنبي ﷺ أو رآه مؤمنًا به، ومات علىٰ ذلك، ولو تخللته ردة؛ فيدخل فيه من ارتدَّ، ثم رجع إلىٰ الإسلام، ويخرج منه من آمن بالنبي ﷺ في حياته، ولم يجتمع به(٢)، والشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعْتَبَرُ ناقلًا عن غيره من علماء الحديث، واخترت تعريفه لسهولته علىٰ المبتدئ.

و(**حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ**) هو معتقد أهل السنة والجماعة، وحبهم للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لأمور:

(١) أن الله قد رضي عنهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

(١) طريق الهجرتين ص (٥٥٧- ٥٦٠)، ط: دار طيبة الخضراء.

(٢) مصطلح الحديث للعثيمين، القسم الثاني ص(٥٤).

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

(٢) أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ **قد زكَّاهم بقوله:** ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

(٣) حب رسولنا لهم ودعوته لنا إلىٰ حبهم؛ فقد جاء في البخاري، ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[1].

(٤) أنهم آمنوا برسولنا وجاهدوا معه ﷺ، فخرجوا بأنفسهم وأموالهم، قُتل منهم من قُتل في سبيل الله تعالىٰ، آووه ﷺ ونصروه وعزروه، أمر رسولنا فأتمروا، ونهىٰ فانتهوا رضي الله عنهم أجمعين، صبروا علىٰ قلة المآكل والمشارب من أجل دين الله ودفاعًا عن رسول الله ﷺ، فرضي الله عنهم.

(٥) أنهم هم الذين بلغوا إلينا الدين، وحفظوا لنا تبليغه بفضل الله سبحانه، فكم حفظوا من الأدلة في أبواب العبادات والعقائد والمعاملات! كم ذهبوا في الأرض وانتشروا فيها من أجل تعليم المسلمين دينهم، تركوا ملاذهم وشهواتهم من أجل تبليغ الدين لهذه الأمَّة رضي الله عنهم، وقبح الله من يسبُّهم أو يطعن فيهم.

---

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

وهناك أسباب كثيرة لحبهم رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سواء من آل بيت النبوَّة أو من غيرهم يحذرون من سبِّ الصحابة ومن الطعن فيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فها هو عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «لا تسبوا أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون»[١].

ويقول عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَنْ نُسَيْرِ بْنِ ذُعْلُوقٍ قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ»[٢].

وأهل السنة والجماعة - بحمد الله - مشوا علىٰ هذا الطريق؛ حب الصحابة وتعظيمهم بدون غلو؛ فهذا إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال»[٣].

ويقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[٤].

ويقول الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ **في «العقيدة الطحاوية»**: «وحبهم - أي: الصحابة - دين وإيمان وإحسان».

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٢٢).

(٢) ابن ماجه (١٦٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالىٰ.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٦٠).

(٤) شرح مسلم (٨/ ٣٢١).

قوله: (وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِــها أَتَوَسّــلُ):

الود هو خالص المحبة[١].

قوله: (القربىٰ)؛ يريد آل بيت النبوَّة قرابة رسولنا ﷺ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أقوال أهل العلم في آل البيت من هم؟ فقال: «واختلف في آل النبي علىٰ أربعة أقوال:

فقيل: هم الذين حُرِّمت عليهم الصدقة.

وقيل: هم ذريته ﷺ.

وقيل: إن آل النبي ﷺ هم أتباعه إلىٰ يوم القيامة.

وقيل: المراد بـ(الآل) الأتقياء من أمته ﷺ»[٢].

وقد رجَّح الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى القول الأول، ويليه القول الثاني، قال: «والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان؛ لأن النبي قد رفع الشبهة بقوله: «**إن الصدقة لا تحل لآل محمد**»».

وحب آل بيت النبوة هو معتقد أهل السنة والجماعة أجمعين؛ فأنت لو تنظر كتبهم لرأيتها تنضح بذكر فضائل آل بيت النبوة، ولكنهم بحق بعيدون عن الغلو الحاصل عند الطوائف الأخرىٰ، وحب أهل السنة لآل بيت النبوة لأسباب:

(١) أنهم آل بيت نبينا محمَّد ﷺ.

(٢) أن الله أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٣٨)، لابن عثيمين.

(٢) جلاء الأفهام ص(٣٢٤).

خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤].

(٣) أن رسولنا أوصانا بحبهم، وكيف لا نتبع وصية رسولنا ﷺ؟! فقد جاء في «صحيح مسلم»: قال مسلم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَشُجَاعُ بْنُ مَخْلَدٍ جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُلَيَّةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ.

ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ؛ أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ؛ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**». فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ»[1].

---

(١) مسلم (٦٣٧٨).

(٤) أن نسبهم أفضل نسب؛ فقد جاء في مسلم عن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[(١)].

تنـــبـــيه:

حبنا لمن ينتسب لآل بيت النبي ﷺ هو للصالحين منهم المستقيمين علىٰ دين الله رب العالمين، أما من كان منهم بعيدًا عن الاستقامة أو محدثًا للبدع؛ فهذا لا ينفعه نسبه؛ فقد قال رسولنا ﷺ فيما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[(٢)].

وأهل السنة - بحمد الله - هم الذين يعطون آل البيت حقوقهم الشرعية كما أمروا، وانظر إلىٰ كلام الشيخ عبد المحسن البدر وهو يتكلم علىٰ حب أهل السنة لآل البيت، قال: عقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الإفراط والتفريط والغلوِّ والجفاء في جميع مسائل الاعتقاد، ومن ذلك عقيدتهم في آل بيت الرسول ﷺ؛ فإنهم يتولون كل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وكذلك زوجات النبي ﷺ جميعًا، فيحبون الجميع، ويثنون عليهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف لا بالهوىٰ والتعسف، ويعرفون الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان وشرف النسب، فمن كان من أهل البيت من أصحاب الرسول ﷺ؛ فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه ولصحبته إياه ولقرابته منه ﷺ، ويرون أن شرف النسب تابع لشرف الإيمان، ومن جمع الله له بينهما فقد

---

(١) مسلم (٦٠٧٧).

(٢) صحيح مسلم برقم: (٧٠٢٨).

جمع له بين الحُسنيين، ومن لم يوفَّق للإيمان فإن شرف النسب لا يفيده شيئًا؛ وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكتب أهل السنة مليئة بذكر مناقب آل البيت؛ فلتراجع كتبهم؛ مثل «صحيح البخاري» ومسلم والسنن والمسانيد وكتب العقائد، وغير ذلك، سواء للمتقدمين أو للمتأخرين[١].

وللفائدة: لشيخنا العلامة محمد بن عبد الله الإمام - حفظه الله - رسالة في ذلك بعنوان «آل البيت صفوة الأحساب وأشرف الأنساب»، وكذلك للشيخ عبد الله بن عثمان الذماري - حفظه الله - رسالة بعنوان «فضائل أهل البيت»، فارجع إليها فقد جمع فيها فضائل قيمة.

قوله: (وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسّلُ):

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه يتوسل بحب آل بيت النبوَّة إلىٰ الله، وقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغىٰ إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه؛ هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك»[٢] اهـ.

والتوسُّل هو مأخوذ في اللغة من الوسيلة، والوسيلة والوصيلة معناهما متقارب، فالتوسل هو التوصل إلىٰ المراد والسعي في تحقيقه.

---

(١) «فضائل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة» ص (١٣).

(٢) التوسل والوسيلة في ص(٨٣)، ط: رئاسة البحوث بالمملكة.

وفي الشرع يراد به التوصل إلىٰ رضوان الله والجنة، بفعل ما شرعه وترك ما نهىٰ عنه.

معنى الوسيلة في القرآن الكريم:

وردت لفظة «الوسيلة» في القرآن الكريم في موضعين:

١- قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

والمراد بالوسيلة في الآيتين: أي: القربة إلىٰ الله بالعمل بما يرضيه؛ فقد نقل الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية الأولىٰ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن معنىٰ الوسيلة فيها القربة، ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن البصري وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد، وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مناسبة نزولها التي توضح معناها، فقال: «نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين يعبدونهم لا يشعرون».

وهذا صريح في أن المراد بالوسيلة ما يتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ من الأعمال الصالحة والعبادات الجليلة؛ ولذلك قال: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧]؛ أي: يطلبون ما يتقربون به إلىٰ الله، وينالون به مرضاته، من الأعمال الصالحة المقربة إليه.

أقسام التوسُّل:

ينقسم التوسل إلىٰ قسمين: توسل مشروع، وتوسل ممنوع.

١- **التوسل المشروع:** هو التوسل إلىٰ الله بالوسيلة الصحيحة المشروعة، والطريق الصحيح لمعرفة ذلك هو الرجوع إلىٰ الكتاب والسنة ومعرفة ما ورد فيهما عنها، فما دل الكتاب والسنة علىٰ أنه وسيلة مشروعة فهو من التوسل المشروع، وما سوىٰ ذلك فإنه توسُّل ممنوع.

والتوسل المشروع يندرج تحته ثلاثة أنواع:

الأول: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ باسم من أسمائه الحسنىٰ أو صفة من صفاته العظيمة؛ كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك الرحمن الرحيم أن تعافيني. أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي وترحمني. ونحو ذلك.

ودليل مشروعية هذا التوسل؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الثاني: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بعمل صالح قام به العبد؛ كأن يقول: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك، اغفر لي. أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني. أو أن يذكر الداعي عملًا صالحًا قام به، فيتوسل به إلىٰ ربه، كما في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي سيردُ ذكرها.

ويدل علىٰ مشروعيته قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار الثلاثة كما يرويها عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ**

الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَىٰ أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّىٰ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[١].

---

(١) رواه البخاري برقم: (٢٢٧٢)، ومسلم برقم: (٧١٢٥).

الثالث: التوسل إلىٰ الله بدعاء الرجل الصالح الذي ترجىٰ إجابة دعائه؛ كأن يذهب المسلم إلىٰ رجل يرىٰ فيه الصلاح والتقوىٰ والمحافظة علىٰ طاعة الله، فيطلب منه أن يدعوَ له ربه ليفرج كربته وييسِّر أمره.

ويدلُّ علىٰ مشروعية هذا النوع؛ أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعوَ لهم بدعاء عام ودعاءٍ خاصٍّ؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أن رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وِجَاهِ المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**». قال أنس: ولا والله ما نرىٰ في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، قال: والله ما رأينا الشمس ستًّا، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموالُ، وانقطعت السبلُ، فادع الله يمسكها. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم علىٰ الآكام والجبال والظراب ومنابت الشجر**». قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس». قال شريك: فسألت أنسًا: أهو الرجل الأول؟ قَال: لا أدري. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ لما ذكر أن في أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وقال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون**». قام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**أنت منهم**».

ومن ذلك حديث ذكر النبي ﷺ أويسًا القرني، وفيه قال: «**فاسألوه أن يستغفر لكم**».

وهذا النوع من التوسل إنما يكون في حياة من يطلب منه الدعاء، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له.

٢- **التوسل الممنوع**: هو التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بما لم يثبت في الشريعة أنه وسيلة، وهو أنواع بعضها أشد خطورة من بعض؛ منها:

١- التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بدعاء الموتىٰ والغائبين، والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، ونحو ذلك؛ فهذا من الشرك الأكبر الناقل من الملَّة.

٢- التوسل إلىٰ الله بفعل العبادات عند القبور والأضرحة بدعاء الله عندها، والبناء عليها، ووضع القناديل والستور ونحو ذلك؛ وهذا من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، وهو ذريعة مفضية إلىٰ الشرك الأكبر.

٣- التوسل إلىٰ الله بجاه الأنبياء والصالحين ومكانتهم ومنزلتهم عند الله، وهذا محرم، بل هو من البدع المحدثة؛ لأنه توسل لم يشرعه الله، ولم يأذن به؛ قال تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ﴾ [يونس: ٥٩]، ولأن جاه الصالحين ومكانتهم عند الله إنما تنفعهم هم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]؛ ولذا لم يكن هذا التوسل معروفًا في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وقد نصَّ علىٰ المنع منه وتحريمه غير واحد من أهل العلم.

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق

أوليائك ورسلك، أو بحق البيت الحرام والمشعر الحرام»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضائِلُ لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ)

أي ولكل الصحابة وكذلك آل بيت النبوة لهم قدر؛ أي: مكانة عنده ورفعة.

وللصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فضائل عدة في الكتاب والسنة نذكر بعضًا منها:

(١) أنهم ممن كان عندهم سرعة في الاستجابة لله ولرسوله، ولو في أوقات الشدائد، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

(٢) أنهم كانوا أصحاب شجاعة في سبيل الله وفي المعارك العظيمة، وما ذلك إلا لقوة عقيدتهم وتيقنهم أن الله حسيبهم؛ فمن مات منهم فهو في سبيل الله، ومن عاش منهم فهو في دفاع عن دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(٣) أنهم بايعوا رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الموت، وهذه فضيلة لا تُعْلَمُ لأصحاب نبي قبلهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال تعالىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨، ١٩]. قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ ذكره: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

(١) أصول الإيمان في ضوءِ الكتابِ والسنة ص(٥٧) وما بعدها.

ٱلشَّجَرَةِ﴾ يعني بيعة أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله بالحديبية حين بايعوه على مناجزة قريش الحرب، وعلى أن لا يفروا، ولا يولوهم الدبر، تحت الشجرة، وكانت بيعتهم إياه هنالك فيما ذكر تحت شجرة».

(٤) ما أخبر الله عنهم أنهم أشداء على الكفار، وبينهم تراحم وأخوَّة، وأنهم أصحاب عبادة لله تعالى وأصحاب طلب لرضوان الله، يا لها من فضائل ومناقب لهم رضي الله عنهم! قال الله تبارك وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

(٥) أنهم وعدهم الله بالجنة، ويا له من فضل! قال تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠]. يقول المفسر القرطبي رحمه الله تعالى عند هذه الآية: «المسألة الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعًا الجنة مع تفاوت الدرجات».

(٦) أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم ممن لا يُخزى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

ولهم فضائل كثيرة في الكتاب العزيز، وأما فضائلهم في السنة أيضًا فهي كثيرة رضي الله عنهم، ذكرنا بعضها عند قول المؤلف: (**حب الصحابة لي مذهب**).

قوله: (لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَـلُ).

يريد أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أي: أنه أفضل من الباقين.

وأبو بكر اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرةَ بن كعبِ بنِ لؤي القرشيّ التيميّ، يلتقي مع رسولِ الله في مرة بن كعب.

وسُمِّيَ أبو بكر بالصديق لكثرة تصديقه للنبي ﷺ؛ فقد جاء في البخاريِّ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صَعِدَ النبيُّ ﷺ أحدًا ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرجف بهم، فضربه برجله، وقال: «**اثبت أحد، فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ أو شهيدانِ**»[(١)].

❁ وأبو بكر له فضائل كثيرة جداً؛ منها:

(١) أنه صاحب رسولنا في الهجرة من مكة إلىٰ المدينة، وفي ذلك نزل قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

(٢) **وقوله تعالىٰ**: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠]، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففيها دليل واضح علىٰ تفضيل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقديمه؛ لأنه أول من أسلم، وعن ابن مسعود: «أول من أظهر الإسلام بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر»، ولأنه أول من أنفق

---

(١) البخاري، برقم: (٣٤٨٣).

علىٰ نبي الله ﷺ»[١].

(٣) ما قاله الرسول ﷺ فيه؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**». فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَبَكَىٰ، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ**»[٢].

(٤) ومن فضائله أنه كان إمامًا للمسلمين في مرض رسول الله ﷺ؛ فقد جاء في البخاري: قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فَذَكَرْنَا الْمُوَاظَبَةَ عَلَىٰ الصَّلَاةِ وَالتَّعْظِيمَ لَهَا، قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَأُذِّنَ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. وَأَعَادَ، فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**». فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّىٰ، فَوَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ جَنْبِهِ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٢٤٠).

(٢) البخاري برقم: (٣٦٥٤)، ومسلم برقم: (٢٣٨٢).

قِيلَ لِلْأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ(١).

(٥) ومن فضائله ما جاء في البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ. فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَىٰ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**».

(٦) ومنها أنه كان في زمن النبي ﷺ معروفًا عند الصحابة أنه من خيرهم؛ فقد جاء في البخاري، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(٢).

وله مناقب كثيرة من أراد زيادة ذلك فليرجع إلىٰ «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم»، و«در السحابة في مناقب القرابة، والصحابة» للشوكاني، وغير ذلك من المراجع.

وأبو بكر هو أفضل الصحابة كما مر عن ابن عمر، وهو أمر متَّفق عليه بين أهل السنة والجماعة، وقد نقل الاتفاق الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ قال: «وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ أَفْضَلَهُمْ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ. قَالَ جُمْهُورُهُمْ: ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ

---

(١) البخاري، برقم: (٦٨٢).

(٢) البخاري، برقم: (٣٦٥٥).

عَلِيٌّ»[١].

وقال الحافظ: ونقل البيهقي في الاعتقاد بسنده إلىٰ أبي ثور عن الشافعي أنه قال: «أجمع الصحابة وأتباعهم علىٰ أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي»[٢].

قال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أبو بكر الصديق السابق إلىٰ التصديق، الملقب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافَّة الأخيار وعامة الأبرار، وبقي له شرفه علىٰ كرور الأعصار، ولم يسم إلىٰ ذروته همم أولي الأيدي والأبصار؛ حيث يقول عالم الأسرار: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، إلىٰ غير ذلك من الآيات والآثار، ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار، التي غدت كالشمس في الانتشار»[٣].

ويقول الشيخ صالح آل الشيخ: «... فالتنصيص علىٰ أنَّ أبا بكر هو أفضل هذه الأمة بمجموع أدلة كثيرة بالتنصيص علىٰ فضله، وأنَّهُ أفضل، وعلىٰ اختصاصه بالنبي ﷺ - يدلُّ علىٰ أنَّ الأفضل هو الأحق بالخلافة، هذا تنصيص علىٰ أنّ أبا بكر هو الذي توجد فيه شروط الخلافة.

الدليل الثاني: أنَّ النبي ﷺ لمَّا مرض مرضه الأخير أمَرَ الناس أن يُقَدِّمُوا أبا بكر؛ فقال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**». قد قال بعض الصحابة: إذا ارتضاه

---

(١) شرح مسلم (٨/ ١١٨).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٢).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٢٨) باختصار، مطبعة السعادة.

رسول الله لديننا أفلا نرتضيه لدنيانا؟ يعني أنَّ تقديمه في الإمامة الصغرىٰ - وهي إمامة الصلاة - دليل، بل هي نَصٌّ، علىٰ أنَّهُ هو الأحق بالتقدُّم في الإمامة العظمىٰ.

الدليل الثالث: أنَّ النبي ﷺ أمَرَ الصحابة أن يأتوا بكتابٍ ليَكْتُبَ لهم، فقال: «**يأبىٰ الله والمسلمون إلا أبا بكر**». ثم إنه لما دَعَا بذلك الكتاب قال: «**إيتوني بكتابٍ أعهد إليكم عهدًا لا تختلفوا بعده**». قال عمر رضي الله عنه: «عندنا كتاب ربنا وما أظنُّ رسول الله ﷺ إلا غلب عليه الوَجَعُ...»، إلىٰ أن قال:

«**الدليل الرابع**: أن النبي ﷺ قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

الدليل الخامس: أنَّ امرأةً أتت إلىٰ النبي ﷺ في حاجة لها، فوعدها موعدةً أخرىٰ، فقالت - كأنها تُشِيرُ -: إن لم أجدك - تعني: بالموت -؟ قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[1].

والأدلة علىٰ هذا كثيرة متنوعة في أنَّ أبا بكر رضي الله عنه كان منصوصًا علىٰ استحقاقه للخلافة بعدة أدلة يُؤْخَذُ منها أنَّهُ نصٌّ جلي لا يحتمل التأويل.

قوله:

(وَأَقُولُ فِي القُرآنِ مَا جاءَتْ بِهِ آياتُهُ فَهُوَ الكَرِيمُ المُنْزَلُ)

وهذا البيت حرر فيه المؤلف رحمه الله تعالى عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم أنه كلام الله منزل غير مخلوق.

والقرآن هو كما قال الجرجاني في التعريفات: «القرآن: هو المنزل علىٰ الرسول ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة».

---

(١) جامع شروح العقيدة الطحاوية (١٢٢٣).

قول المؤلف: (فهو الكريم)؛ وهذا لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٠].

وقوله: (المنزل)؛ أي: أنه منزل غير مخلوق، والأدلة علىٰ أن القرآن منزل غير مخلوق كثيرة، ذكر شيخ الإسلام جملة منها في «العقيدة الواسطية»، فذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾ [الأنعام: ٩٢]، ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، ومن الأدلة أيضًا: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ [الدخان: ١ - ٥]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وهذا هو معتقد الفرقة الناجية، يقول الإمام الآجري: «اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن قول المسلمين الذين لم تزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديمًا وحديثًا، أن القرآن كلام الله تعالىٰ ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقًا، تعالىٰ الله عن ذلك، دل علىٰ ذلك القرآن والسنة وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين، لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث، والجهمي عند العلماء كافر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ

كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهو القرآن، وقال لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤]»[(١)].

وقد ذكر الإمام اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامَ أهل السنة والجماعة؛ أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، فبدأ بالأدلة من الكتاب والأدلة من السنة، ثم نقل إجماع الصحابة علىٰ ذلك، ثم نقل إجماع التابعين من الحرمين مكة والمدينة والمصريين والكوفة والبصرة، ثم ذكر علماء الشام والعراق وخراسان، ثم ذكر طبقات التابعين، كل هؤلاء يقولون: كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود[(٢)].

وقول الطحاوي في عقيدته: «وإِنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَأَ بلَا كَيْفِيَّة قَوْلًا، وأَنْزلَه علىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ المؤمنون علىٰ ذلك حَقًّا، وأَيْقَنُوا أَنَّه كلامُ الله تعالىٰ بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فمن سمِعَهُ فزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ، وأوعَدهُ بسَقَر؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَر لمنْ قال: ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر».

وأول من قال: إن القرآن مخلوق. هو الجعد بن درهم، قال الإمام اللالكائي

---

(١) الشريعة ص(٨١، ٨٢).

(٢) شرح أصول اعتقادأهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧ وما بعدها).

في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: «لا خلاف بين الأمة أن أول من قال: إن القرآن مخلوق. الجعد بن درهم سنة اثنتين وعشرين - يريد بعد المائة - ثم الجهم بن صفوان».

وقد استدل من يقول بخلق القرآن ببعض الشبه؛ منها:

الشبهة الأولى: قالوا: الله يقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]، قالوا: والقرآن شيء، فهو داخل في قوله: ﴿شَيْءٍ﴾.

والرد عليهم: يقول ابن أبي العز: «وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾، وَالْقُرْآنُ شَيْءٌ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي عُمُومِ [كُلِّ] فَيَكُونُ مَخْلُوقًا - فَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ؛ وَذَلِكَ: أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ كُلَّهَا عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ لِلَّهِ تَعَالَىٰ، وَإِنَّمَا يَخْلُقُهَا الْعِبَادُ جَمِيعَهَا، لَا يَخْلُقُهَا اللهُ، فَأَخْرَجُوهَا مِنْ عُمُومِ [كُلِّ]، وَأَدْخَلُوا كَلَامَ اللهِ فِي عُمُومِهَا... وَعُمُومُ [كُلِّ] فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِهِ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ بِالْقَرَائِنِ؛ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءِۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وَمَسَاكِنُهُمْ شَيْءٌ، وَلَمْ تَدْخُلْ فِي عُمُومِ كُلِّ شَيْءٍ دَمَّرَتْهُ الرِّيحُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْبَلُ التَّدْمِيرَ بِالرِّيحِ عَادَةً وَمَا يَسْتَحِقُّ التَّدْمِيرَ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ حِكَايَةً عَنْ بِلْقِيسَ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٖ﴾ [النمل: ٢٣]، الْمُرَادُ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ، وَهَذَا الْقَيْدُ يُفْهَمُ مِنْ قَرَائِنِ الْكَلَامِ؛ إِذْ مُرَادُ الْهُدْهُدِ أَنَّهَا مَلِكَةٌ كَامِلَةٌ فِي أَمْرِ الْمُلْكِ، غَيْرُ مُحْتَاجَةٍ إِلَىٰ مَا يَكْمُلُ بِهِ أَمْرُ مُلْكِهَا، وَلِهَذَا نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ.

وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ﴾؛ أَيْ: كُلِّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ، وَكُلُّ

مَوْجُودٍ سِوَىٰ اللهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَدَخَلَ فِي هَذَا الْعُمُومِ أَفْعَالُ الْعِبَادِ حَتْمًا، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْعُمُومِ الْخَالِقُ تَعَالَىٰ، وَصِفَاتُهُ لَيْسَتْ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَصِفَاتُهُ مُلَازِمَةٌ لِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، لَا يُتَصَوَّرُ انْفِصَالُ صِفَاتِهِ عَنْهُ، كَمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ عِنْدَ قَوْلِهِ: (مَا زَالَ قَدِيمًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِهِ). بَلْ نَفْسُ مَا اسْتَدَلُّوا بِهِ يَدُلُّ عَلَيْهِمْ؛ فَإِذَا كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ مَخْلُوقًا؛ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا»[1] اهـ.

ويقال لهم أيضًا: الله عَزَّوَجَلَّ يطلق عليه (شيء) فهل يدخل في هذا العموم أنه خلق نفسه؟! تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

الشبهة الثانية:

استدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]. قالوا: (جعل) بمعنىٰ (خلق) فيكون المعنىٰ: إنا خلقناه قرآنًا عربيًّا. والرد عليهم هو كما قاله ابن أبي العز: «وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾؛ فَمَا أَفْسَدَهُ مِنَ اسْتِدْلَالٍ؛ فَإِنَّ (جَعَلَ) إِذَا كَانَ بِمَعْنَىٰ (خَلَقَ) يَتَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَفْعُولٍ وَاحِدٍ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. أَيْ: خَلَقَ الظُّلُمَاتِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. أَيْ: خلقنا من الماء، ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]. أَيْ: خَلَقْنَا في الأَرْضِ رَوَاسِيَ. وَإِذَا تَعَدَّىٰ إِلَىٰ مَفْعُولَيْنِ لَمْ يَكُنْ بِمَعْنَىٰ (خَلَقَ)؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ

(١) شرح الطحاوية ص(١٨٤).

ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ﴾ [النحل: ٩١] – قلتُ: فهل يُعْقَلُ أن المعنىٰ: وقد خلقتم الله عليكم كفيلًا؟! –.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةً لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، – قُلْتُ: هل يمكن أن يكون المعنىٰ: ولا تخلقوا الله عرضة؟! وقس عليها بقية الآيات –.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: ١٩]. وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ، فَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]»[1].

حكم من قال: «إن القرآن مخلوق»:

يقول اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»: «القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق. فهو كافر؛ فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوىٰ الصحابة الخيرين علىٰ اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم، وتدينوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، لكني اختصرت وحذفت الأسانيد للاختصار، ونقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر لا ينكر عليهم منكر، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه».

---

(١) شرح الطحاوية ص(١٨٤).

قوله:

(وأقــولُ قــال اللهُ جَــلَّ جَلَالُــهُ والمصــطفىٰ الهــادي ولا أتــأولُ)

هذا هو الأصل عند أهل السنة والجماعة أنهم يأخذون عقائدهم وأحكامهم من الكتاب والسنة؛ فما قاله الله ورسوله قالوه، وما نهىٰ عنه الله ورسوله انتهوا.

وقوله: (جَلَّ جَلَالُهُ): جل: أي تنزَّه عن النقائص والعيوب.

قوله: (المصطفى):

يقول الشيخ ابن عثيمين: «وقوله: (المصطفىٰ): يعني: المختار؛ لأنه مأخوذ من الصفوة، وصفوة الشيء خياره، فهو ﷺ مصطفًىٰ أي: مختار علىٰ جميع الخلق، فهو ﷺ أفضل الرسل، والرسل أفضل الخلق»(١).

هل (المصطفى) من أسماء النبي ﷺ؟

يقول الشيخ العثيمين: «الجواب: لا، الظاهر أنه من أوصافه، والغريب من أن بعض الناس - سبحان الله العظيم - يقول: قال المصطفىٰ. مع أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أشد منا تعظيمًا للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأعلم منا بمناقبه، ما قال أبو هريرة: قال المصطفىٰ. ولا قال أي واحد من الصحابة؛ يعني كل كتب الحديث يقول الصحابي: قال رسول الله، قال نبي الله، قال أبو القاسم. وما أشبه ذلك، لكن الناس في الوقت الحاضر ابتُلُوا بصياغة الألفاظ، ولم ينظروا إلىٰ من سبقهم، والحقيقة أنه ينبغي لنا أن ننظر إلىٰ من سبقنا»(٢).

---

(١) شرح العقيدة السفارينية ص(٥٣)، ط: مدار الوطن.

(٢) المرجع السابق ص(٥٥).

❁ **قوله: (الهادي):**

أي أن رسولنا ﷺ سبب في هدايتنا، وقد مرَّ معنا الكلام علىٰ الهداية.

❁ **قوله: (ولا أتأول):**

التأويل لغة: من الأوْل، يُقَالُ: آل يؤول أوْلًا، بمعنىٰ الرجوع.

والتأويل اصطلاحًا: قد بيَّن الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذلك فقال: «والتأويل ليس كله مذمومًا؛ لأن التأويل له معان متعددة؛ يكون بمعنىٰ التفسير، ويكون بمعنىٰ العاقبة والمآل، ويكون بمعنىٰ صرف اللفظ عن ظاهره.

(أ) يكون بمعنىٰ التفسير؛ كقول كثير من المفسرين عندما يفسِّر آيةً: تأويل قوله تعالىٰ كذا وكذا. ثم يذكرون المعنىٰ، وسُمِّي التفسير تأويلًا؛ لأننا أولنا الكلام؛ أي: جعلناه يئول إلىٰ معناه المراد به.

(ب) تأويل بمعنىٰ عاقبة الشيء، وهذا إن ورد في طلب فتأويله فعله إن كان أمرًا وتركه إن كان نهيًا، وإن ورد في خبر فتأويله وقوعه.

مثاله في الخبر قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ فالمعنىٰ: ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومآل ما أخبروا به، يوم يأتي ذلك المخبر به يقول الذين نسوه من قبل: قد جاءت رسل ربنا بالحق. ومنه قول يوسف لما خر له أبواه وإخوته سجدًا: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ أي: هذا وقوع رؤياي؛ لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

ومثاله في الطلب قول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده بعد أن أنزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]:

«**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»، يتأوَّل القرآن. أي: يعمل به.

(جـ) المعنىٰ الثالث للتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا النوع ينقسم إلىٰ: محمود ومذموم، فإن دل عليه دليل فهو محمود النوع ويكون من القسم الأول، وهو التفسير، وإن لم يدل عليه دليل فهو مذموم، ويكون من باب التحريف، وليس من باب التأويل.

وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله عَزَّوَجَلَّ(١).

أيهما أولى: التعبير بالتأويل أم بالتحريف؟

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «ولهذا عبَّر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتحريف دون التأويل مع أن كثيرًا ممن يتكلمون في هذا الباب يعبرون بنفي التأويل؛ يقولون: من غير تأويل، لكن ما عبر به المؤلف أولىٰ لوجوه أربعة:

الوجه الأول: أنه اللفظ الذي جاء به القرآن؛ فإن الله تعالىٰ قال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، والتعبير الذي عبر به القرآن أولىٰ من غيره؛ لأنه أدل علىٰ المعنىٰ.

الوجه الثاني: أنه أدلُّ علىٰ الحال، وأقرب إلىٰ العدل، فالمؤول بغير دليل ليس من العدل أن تسميه مؤولًا، بل العدل أن نصفه بما يستحق، وهو أن يكون محرِّفًا.

الوجه الثالث: أن التأويل بغير دليل باطل يجب البعد عنه والتنفير منه، واستعمال التحريف فيه أبلغ تنفيرًا من التأويل؛ لأن التحريف لا يقبله أحد، لكن التأويل لين تقبله النفس، وتستفصل عن معناه، أما التحريف بمجرد ما نقول: هذا تحريف. ينفر الإنسان منه، إذا كان كذلك فإن استعمال التحريف فيمن

---

(١) شرح الواسطية (١/ ٨٨).

خالفوا طريق السلف أليق من استعمال التأويل.

الوجه الرابع: أن التأويل ليس مذمومًا كله؛ قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**». وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل»[١].

وقوله: (ولا أتأول):

أي: التأويل المذموم، وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدون دليل يدلُّ عليه.

حكم التأويل:

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «وحكم التأويل علىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادرًا عن اجتهاد وحسن نيَّة، بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهذا معفوٌّ عنه؛ لأن هذا منتهىٰ وسعه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثاني: أن يكون صادرًا عن هوًىٰ وتعصُّب، وله وجه في اللغة العربية، فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمَّن نقصًا أو عيبًا في حق الله فيكون كفرًا.

الثالث: أن يكون صادرًا عن هوًىٰ وتعصب، وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر؛ لأن حقيقته التكذيب، حيث لا وجه له[٢].

قوله:

(وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها حَقًّا كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

(١) شرح الواسطية (١/ ٨٧) وهو يشرح كلام شيخ الإسلام في الواسطية.

(٢) شرح اللمعة ص(٨).

وأَرُدُّ عُهـــدتها إلـــىٰ نُقَّـــالِها وأصـونُها عـن كُـلِّ مـا يُتَـخَيَّلُ)

قوله: (جميع آيات الصفات)؛ أي: جميع الأدلة التي تثبت لله تعالىٰ الصفات **(أمرها)** أي: أثبتها **(حقًّا كما نقل الطراز الأول)** وهم الأقدمون من سلف هذه الأمة.

وقوله: (وأرد عهدتها إلىٰ نقالها)؛ أي: إلىٰ الذين نقلوها إلينا.

قوله: (وأصونها)؛ قال في «القاموس»: «صانه صونًا وصيانة فهو مصون ومصان: حفظه».

إذًا معنىٰ (أصونها): أي: أحفظها، وأدافع عنها **(عن كل ما يتخيل)** أي: يظن، فهو يصونها من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل.

ومواقف أهل السنة والجماعة أمام صفات اللّٰه يتمثَّل في أمور:

(١)الإيمان والتصديق بها من غير زيادة أو نقص؛ قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «آمنت بالله، وبما جاء عن الله، علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، علىٰ مراد رسول الله». يقول الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وعلىٰ هذا درج السلف وأئمة الخلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كلهم متفقون علىٰ الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرُّض لتأويله، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات»[١] اهـ.

(٢)أنهم يمرونها كما جاءت من غير تحريف لها ولا تعطيل ولا تكييف ولا

(١) انظر اللمعة.

تمثيل؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل»(١) اهـ.

والتحريف: هو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل.

والتعطيل: هو نفي المعنىٰ الوارد في الكتاب والسنة وتعطيله. **والتكييف**: هو اعتقاد أن صفات الله علىٰ كيفية معينة. **والتمثيل**: هو إثبات مماثل لله تعالىٰ.

(٣)تفويض الكيف، وأما تفويض اللفظ فلا يقولون به، وقد ذكر الإمام الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «حدثنا أبو بكر قال: ثنا الفضل بن سليمان قال: ثنا الهيثم بن خارجة قال: ثنا الوليد بن مسلم قال: سألت سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث، فقالوا: نمرها كما جاءت»(٢). هذا في أحاديث الصفات، وهو مذهب السلف إثبات حقيقتها ونفي علم الكيفية.

فائدة:

التفويض هو صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنىٰ المراد.

والتفويض قسمان:

الأول: تفويض المعنىٰ، وهذا مذموم.

الثاني: تفويض الكيف، وهو أن يقول: الله أعلم كيف هو، وكيف استوىٰ وكيف ينزل. وهذا هو الذي مشىٰ عليه السلفُ - رضوان الله عليهم -.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٦٩).

(٢) السنة، للخلال (١/ ٢٥٩).

قوله:

(قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القران وراءَهُ وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ: قالَ الأخطَلُ)

يقول في «القاموس»: القُبح - بالضم - ضد الحسن، وقبحه الله: نحاه عن الخير[1].

قوله: (وإذا استدل): أي: إذا أراد أن يذكر دليلًا يستدل بقول الأخطل، والأخطل هو اسم رجل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «هو نصراني كافر مثلث»[2].

والذي عليه أهل السنة والجماعة؛ أنهم يستدلون بما في الكتاب والسنة وبما فهمه سلف هذه الأمة، وأما أهل البدع فهم يستدلون علىٰ رأيهم وبدعهم ولو كان هذا الدليل لا يصلح أن يستدل به إما لضعفه، وإما لعدم مدلوله علىٰ المسألة، وإما لأنه قول من لا يُحتج به مثل هذا الأخطل، فقد استدل أهل البدع بكلامه في موضعين:

الأول بقوله:

قد استوىٰ بشر علىٰ العراق من غير سيف أو دم مهراق

أرادوا نفي استواء الله علىٰ عرشه، وقد رد عليهم أهل العلم بعدة ردود هاك بعضَها:

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «فهذا شعر مولد حدث بعد كتاب الله، ولم يكن

---

(١) القاموس: مادة (قبح).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٤٠).

معروفًا قبل نزول القرآن ولا في عصر من أنزل عليه القرآن، فحملوا لفظ القرآن علىٰ الشعر المولد الحادث بعد نزوله، ولم يكن من لغة من نزل القرآن عليه»(١).

ويقول الشيخ عبد العزيز الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

«قد استوىٰ بشرٌ علىٰ العراقِ — من غير سيفٍ أو دمٍ مِهْراقِ

وهذا البيتُ ليسَ من شعرِ العربِ، وأهلُ اللغةِ لمَّا سَمِعوه أنكرُوه غايةَ الإنكارِ، ولم يجعلوه من لغةِ العربِ»(٢).

البيت الثاني من الأبيات التي استُدل بها من كلام الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا — جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَىٰ الْفُؤَادِ دَلِيلَا

وهذا البيت استدلت به بعض الفرق الضالة كالأشاعرة علىٰ إثبات أن كلام الله نفساني.

والرد عليهم: يقول ابن أبي العز: «فَاسْتِدْلَالٌ فَاسِدٌ، وَلَوِ اسْتَدَلَّ مُسْتَدِلٌّ بِحَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ لَقَالُوا: هَذَا خَبَرُ وَاحِدٍ. وَيَكُونُ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ تَصْدِيقِهِ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَكَيْفَ وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ قِيلَ: إِنَّهُ مَوْضُوعٌ مَنْسُوبٌ إِلَىٰ الْأَخْطَلِ، وَلَيْسَ هُوَ فِي دِيوَانِهِ؟! وَقِيلَ: إِنَّمَا قَالَ: «إِنَّ الْبَيَانَ لَفِي الْفُؤَادِ...». وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَىٰ الصِّحَّةِ، وَعَلَىٰ تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ عَنْهُ فَلَا يَجُوزُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ؛ فَإِنَّ النَّصَارَىٰ قَدْ ضَلُّوا فِي مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَزَعَمُوا أَنَّ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسُ كَلِمَةِ اللهِ، وَاتَّحَدَ اللَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ؛ أَيْ: شَيْءٌ مِنَ الْإِلَهِ بِشَيْءٍ

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٧٢).

(٢) التنبيهات السنية ص(١٢٦).

مِنَ النَّاسِ، أَفَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِ نَصْرَانِيٍّ قَدْ ضَلَّ فِي مَعْنَىٰ الْكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وَيُتْرَكُ مَا يُعْلَمُ مِنْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ؟! وَأَيْضًا: فَمَعْنَاهُ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ إِذْ لَازِمُهُ أَنَّ الْأَخْرَسَ يُسَمَّىٰ مُتَكَلِّمًا لِقِيَامِ الْكَلَامِ بِقَلْبِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ، وَالْكَلَامُ عَلَىٰ ذَلِكَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَإِنَّمَا أُشِيرُ إِلَيْهِ إِشَارَةً»[١].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وقال الشاعر:

إن البيان من الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

هكذا قال الشاعر هذا البيت، وهكذا هو في ديوانه، قال أبو البيان: أنا رأيته في ديوانه كذلك، فحرفه عليه بعض النفاة وقالوا:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الكلام دليلا»[٢]

إذًا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أن يقرر عقيدة أهل السنة في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي أنهم يقولون كما ذكر شيخ الإسلام في متن «العقيدة الواسطية»، قال: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ؛ الإيمانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلامُ غَيْرِهِ، وَلا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَىٰ - حَقِيقَةً -؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا لَا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٠٧).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٤٥).

لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ».

قوله:

(والمؤمنون يَرَوْنَ حقًّا ربَّهُم ... وإلىٰ السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ)

الناظم في هذا البيت يقرر ما عليه أهل السنة والجماعة في باب الرؤية والنزول.

ورؤية المؤمنين لربهم في الآخرة أمر معلوم بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

أما الأدلة من الكتاب؛ فمنها:

(١) **قوله تعالىٰ:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(٢) **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]. قَالَ الطَّبَرِيُّ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هُوَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

(٣) **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فَالْحُسْنَىٰ: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: هِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فَسَّرَهَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةُ مِنْ بَعْدِهِ، كَمَا رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَىٰ مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: مَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُجِرْنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَمَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَهِيَ الزِّيَادَةُ**». وَرَوَاهُ غَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَلْفَاظٍ أُخَرَ، مَعْنَاهَا أَنَّ الزِّيَادَةَ: النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وَكَذَلِكَ فَسَّرَهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رَوَىٰ ابْنُ جَرِيرٍ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ؛ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَحُذَيْفَةُ، وَأَبُو مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. احْتَجَّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَىٰ الرُّؤْيَةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ الْمُزَنِيِّ عَنِ الشَّافِعِيِّ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: حَدَّثَنَا الْأَصَمُّ: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ، قَالَ: حَضَرْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيَّ وَقَدْ جَاءَتْهُ رُقْعَةٌ مِنَ الصَّعِيدِ فِيهَا: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا أَنْ حُجِبَ هَؤُلَاءِ فِي السُّخْطِ؛ كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ أَوْلِيَاءَهُ يَرَوْنَهُ فِي الرِّضَا.

وأما الأدلة من السنة فقد بلغت حد التواتر، يقول الشاعر:

مِمَّا تَوَاتَر حَديثُ مَن كَذَب ... وَمَنْ بَنىٰ للهِ بَيْتًا وَاحْتَسَب

وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالحَوْضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذي بَعْض

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الأحاديث عن النبيِّ وأصحابه الدالة علىٰ الرؤية فمتواترة؛ رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسىٰ الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة الأسلمي وأبو رزين العقيلي وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو أمامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعمارة بن رويبة وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف، وأبي بن كعب وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي غير

مسمًّىٰ»(١). ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الأدلة من السنة، فارجع إلىٰ الكتاب المذكور.

وأما إجماع أهل السنة والجماعة علىٰ إثبات الرؤية؛ فقد نقله عدد من أهل العلم منهم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «الباب الخامس والستون: في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالىٰ بأبصارهم جهرة كما يرىٰ القمر ليلة البدر، وتجليه لهم ضاحكًا إليهم، هذا الباب أشرف أبواب الكتاب، وأجلها قدرًا، وأعلاها خطرًا، وأقرها عينًا لأهل السنة والجماعة، وأشدها علىٰ أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم وحرمانه، والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون وأئمة الإسلام علىٰ تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون»(٢).

ونقل الإجماع أيضًا الإمام النووي، قال: «اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَةَ اللهِ تَعَالَىٰ مُمْكِنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا، وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَىٰ وُقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَىٰ دُونَ الْكَافِرِينَ، وَزَعَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ: الْمُعْتَزِلَة وَالْخَوَارِج وَبَعْض الْمُرْجِئَة، أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ أَحَد مِنْ خَلْقه، وَأَنَّ رُؤْيَته مُسْتَحِيلَة عَقْلًا، وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ خَطَأ صَرِيح وَجَهْل

---

(١) «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح» ص(٣٥٦).

(٢) حادي الأرواح ص(٣٤١).

قَبِيح، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ أَدِلَّة الْكِتَاب وَالسُّنَّة وَإِجْمَاع الصَّحَابَة فَمَنْ بَعْدهمْ مِنْ سَلَف الْأُمَّة عَلَىٰ إِثْبَات رُؤْيَة الله تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَة لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَوَاهَا نَحْو مِنْ عِشْرِينَ صَحَابِيًّا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَآيَات الْقُرْآنِ فِيهَا مَشْهُورَة، وَاعْتِرَاضَات الْمُبْتَدِعَةِ عَلَيْهَا لَهَا أَجْوِبَة مَشْهُورَة فِي كُتُب الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّة، وَكَذَلِكَ بَاقِي شُبَههمْ، وَهِيَ مُسْتَقْصَاة فِي كُتُب الْكَلَام، وَلَيْسَ بِنَا ضَرُورَة إِلَىٰ ذِكْرهَا هُنَا، وَأَمَّا رُؤْيَة الله تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهَا مُمْكِنَة»(١).

ويقول ابن أبي العز: «وَقَدْ قَالَ بِثُبُوتِ الرُّؤْيَةِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ، وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ الْمَعْرُوفُونَ بِالْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ، وَسَائِرُ طَوَائِفِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَنْسُوبُونَ إِلَىٰ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»(٢).

❁ واستدل المنكرون للرؤية بأدلة؛ منها:

قوله تعالىٰ عن نبيه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سأله الرؤيا في الدنيا: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد ردَّ علىٰ هذه الشبهة عدد من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ»، وابن القيم في «بدائع الفوائد»، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، والحكمي في «معارج القبول»، وابن عثيمين في عدة شروحات له في العقيدة، وغيرهم كثير، وكل الردود متقاربة لفظًا ومعنًىٰ، وممن رد عليهم ابن أبي العز في «شرح الطحاوية»، وهاك ذكر الرد بالنص.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالِاسْتِدْلَالُ مِنْهَا عَلَىٰ ثُبُوتِ رُؤْيَتِهِ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا

---

(١) شرح مسلم (٣/ ١٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص (٢١٣).

يُظَنُّ بِكَلِيمِ اللهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِرَبِّهِ فِي وَقْتِهِ؛ أَنْ يَسْأَلَ مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ.

الثَّانِي: أَنَّ اللهَ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ سُؤَالَهُ، وَلَمَّا سَأَلَ نُوحٌ رَبَّهُ نَجَاةَ ابْنِهِ أَنْكَرَ سُؤَالَهُ، وَقَالَ: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، وَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي لَا أُرَىٰ. أَوْ: لَا تَجُوزُ رُؤْيَتِي. أَوْ: لَسْتُ بِمَرْئِيٍّ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْجَوَابَيْنِ ظَاهِرٌ؛ أَلَا تَرَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي كُمِّهِ حَجَرٌ فَظَنَّهُ رَجُلٌ طَعَامًا، فَقَالَ: أَطْعِمْنِيهِ. فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ، أَمَّا إِذَا كَانَ طَعَامًا صَحَّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَهُ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مَرْئِيٌّ، وَلَكِنَّ مُوسَىٰ لَا تَحْتَمِلُ قُوَاهُ رُؤْيَتَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ لِضَعْفِ قُوَىٰ الْبَشَرِ فِيهَا عَنْ رُؤْيَتِهِ تَعَالَىٰ، يُوَضِّحُهُ:

الْوَجْهُ الرَّابِعُ: وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾؛ فَأَعْلَمَهُ أَنَّ الْجَبَلَ مَعَ قُوَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ لَا يَثْبُتُ لِلتَّجَلِّي فِي هَذِهِ الدَّارِ؛ فَكَيْفَ بِالْبَشَرِ الَّذِي خُلِقَ مِنْ ضَعْفٍ؟!

الْخَامِسُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ الْجَبَلَ مُسْتَقِرًّا، وَذَلِكَ مُمْكِنٌ، وَقَدْ عَلَّقَ بِهِ الرُّؤْيَةَ، وَلَوْ كَانَتْ مُحَالًا لَكَانَ نَظِير أَنْ يَقُولَ: إِنِ اسْتَقَرَّ الْجَبَلُ فَسَوْفَ آكُلُ وَأَشْرَبُ وَأَنَامُ، وَالْكُلُّ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ.

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، فَإِذَا جَازَ أَنْ يَتَجَلَّىٰ لِلْجَبَلِ الَّذِي هُوَ جَمَادٌ لَا ثَوَابَ لَهُ وَلَا عِقَابَ؛ فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَجَلَّىٰ لِرُسُلِهِ وَأَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ؟! وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَعْلَمَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّ الْجَبَلَ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ لِرُؤْيَتِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَالْبَشَرُ أَضْعَفُ.

السَّابِعُ: أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَىٰ، وَنَادَاهُ وَنَاجَاهُ، وَمَنْ جَازَ عَلَيْهِ التَّكَلُّمُ وَالتَّكْلِيمُ وَأَنْ يُسْمِعَ مُخَاطِبَهُ كَلَامَهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ - فَرُؤْيَتُهُ أَوْلَىٰ بِالْجَوَازِ؛ وَلِهَذَا لَا يَتِمُّ إِنْكَارُ رُؤْيَتِهِ إِلَّا بِإِنْكَارِ كَلَامِهِ، وَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَهُمَا، وَأَمَّا دَعْوَاهُمْ تَأْبِيدَ النَّفْيِ بِـ﴿لَن﴾، وَأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ – فَفَاسِدٌ؛ فَإِنَّهَا لَوْ قُيِّدَتْ بِالتَّأْبِيدِ لَا يَدُلُّ عَلَىٰ دَوَامِ النَّفْيِ فِي الْآخِرَةِ، فَكَيْفَ إِذَا أُطْلِقَتْ؟! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وَلِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلتَّأْبِيدِ الْمُطْلَقِ لَمَا جَازَ تَحْدِيدُ الْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [يوسف: ٨٠]. فَثَبَتَ أَنَّ ﴿لَن﴾ لَا تَقْتَضِي النَّفْيَ الْمُؤَبَّدَ»(١).

قَالَ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

وَمَنْ رَأَىٰ النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدًا ... فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

ولهم شبه أخرىٰ سيأخذها الطالب في كتب موسعة.

قوله:

(وإلىٰ السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ)

أي: ومما يعتقده أهل السنة والجماعة أن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا.

ونزول ربنا إلىٰ سماء الدنيا قد دلت عليه السنة بالتواتر، وأجمع علماء أهل السنة علىٰ ذلك.

أما الأدلة من السنة على ذلك؛ فمنها:

(١) ما جاء في البخاري، ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص (٢٢٠).

قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[(١)].

(٢) وجاء في مسلم بلفظ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَنْزِلُ اللهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُضِيءَ الْفَجْرُ**»[(٢)].

(٣) ما جاء عند أحمد عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي يَهْبِطُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَىٰ سُؤْلَهُ؟ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يَسْطَعَ الْفَجْرُ**»[(٣)].

(٤) وجاء عند أحمد عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُمْهِلُ حَتَّىٰ يَذْهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ يَهْبِطُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغْفَرُ لَهُ؟**»[(٤)].

والأدلة في هذا الباب عديدة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «وحديث النزول رواه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبو هريرة وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود وأبو سعيد الخدري وعمرو بن عبسة ورفاعة الجهني وعثمان بن أبي العاص وعبد الحميد بن سلمة عن أبيه عن جده، وأبو الدرداء

---

(١) البخاري، برقم: (٧١٩٤)، ومسلم برقم: (٧٥٨).

(٢) مسلم، برقم: (١٨٠٩).

(٣) المسند برقم: (٣٨٢١).

(٤) المسند برقم: (٨٩٧٤).

ومعاذ وأبو ثعلبة الخشني وعائشة أم المؤمنين، وأبو موسىٰ الأشعري وأم سلمة وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان ولقيط بن عامر وعبد الله بن عباس وعبادة بن الصامت وأسماء بنت يزيد وأبو الخطاب وعوف بن مالك وأبو أمامة الباهلي وثوبان وأبو حارثة وخزلة بنت حكيم رضي الله عنهم»[1].

وقد نقل الإجماع على إثبات صفة النزول للّه تعالى عدد من أهل العلم:

منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ حيث قال: «والنزول المذكور في الحديث النبوي علىٰ قائله أفضل الصلاة والسلام الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم، واتفق علماء الحديث علىٰ صحته»[2]. ويقول أيضًا عن سؤال وجه له فِي رَجُلَيْنِ تَنَازَعَا فِي «حَدِيثِ النُّزُولِ»؛ أَحَدُهُمَا مُثْبِتٌ وَالْآخَرُ نَافٍ.

فأجاب رحمه الله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا الْقَائِلُ الْأَوَّلُ الَّذِي ذَكَرَ نَصَّ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَصَابَ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي قَالَهُ قَدِ اسْتَفَاضَتْ بِهِ السُّنَّةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَىٰ تَصْدِيقِ ذَلِكَ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ»[3].

وممن نقل الإجماع الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ قال: «وأجمع السلف علىٰ ثبوت النزول لله؛ فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو نزول حقيقي يليق بالله»[4].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص(٣٨٦).

(٢) الفتاوىٰ (٥/ ٤٧٠).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٣٢٢).

(٤) لمعة الاعتقاد ص(١٦).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجمع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ أن المراد: ينزل ربنا بذاته.

والدليل علىٰ إجماعهم: أنه لم يأت عنهم حرف واحد يقولون: إن المراد: ينزل شيء آخر غير الله. وهم يقرءون هذا الحديث، فإذا قرأت ولم يرد عنهم أنهم قالوا: إن المراد: ينزل رحمة من رحمته أو ملك من ملائكته؛ عُلم أنهم أثبتوا نزوله بذاته»[1].

الفرق التي تنكر صفة النزول للَّه تعالى:

يقول الإمام الآجري: «وقد أنكر صفة النزول المعتزلة والجهمية والأشاعرة»[2] اهـ.

وقالوا: ينزل أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته[3].

وردَّ عليهم كثير من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «ولا يصح تحريف معناه إلىٰ نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته؛ فإن هذا باطل لوجوه:

الأول: أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي ﷺ أضاف النزول إلىٰ الله، والأصل أن الشيء إنما يُضاف إلىٰ من وقع منه أو قام به.

الثاني: أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

الثالث: أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره

---

(١) شرح العقيدة السفارينية (٢٧٣).

(٢) الشريعة (٣١٩).

(٣) كما نقله عنهم الشيخ العثيمين في شرح السفارينية (٢٨٠).

ورحمته ينزلان كلَّ وقت.

فإن قيل: المراد: نزول أمر خاص ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت.

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل؛ فإن الحديث يدل علىٰ أن منتهىٰ نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلىٰ السماء الدنيا حتىٰ يخبرنا النبي ﷺ عنها؟!

الرابع: أن الحديث دل علىٰ أن الذي ينزل يقول: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**». ولا يمكن أن يقول ذلك أحد سوىٰ الله تعالىٰ»[1] اهـ.

إشكال وجوابه:

يقول الشيخ ابن عثيمين: «استشكل كثير من الناس في عصرنا: كيف ينزل الله إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، ونحن نعلم أن ثلث الليل الآخر لا يزال ساريًا علىٰ الأرض وتحت السماء؛ فيلزم من ذلك أن يكون النزول إلىٰ السماء الدنيا دائمًا؟

الجواب: أن نقول: ليس هناك إشكال في نزول الله تعالىٰ في الثلث الأخير رغم استمرار تتابعه علىٰ الأرض، ونحن نؤمن بقول الرسول: «**ينزل حتىٰ يطلع الفجر**». فإذا كان كذلك الواجب علينا ألا نتجاوزه، فما دام ثلث الليل باقيًا في منطقة من المناطق الأرضية فالنزول حاصل باقٍ، ومتىٰ طلع الفجر في هذه المنطقة فلا نزول، والله علىٰ كل شيء قدير، ولا يقاس سبحانه بالخلق، فينزل

(١) الفتوىٰ الحموية، الباب الثالث ص(٢٤٠) في نزول الله إلىٰ السماء الدنيا.

إلىٰ السماء في ثلث الليل الآخر في جهة من الأرض، ولا ينزل بالنسبة لجهة أخرىٰ ليس فيها ثلث الليل، والحقيقة أن الإنسان إذا لزم الأدب مع الله ورسوله اطمأنَّ قلبه واستراح من التقديرات، أما إذا كان يورد علىٰ نفسه هذه المسائل فإنه ينتقل من مشكلة إلىٰ أخرىٰ، فيُخشىٰ عليه من الشك؛ نسأل الله العافية وأن يرزقنا اليقين»(١).

قوله:

(وأُقِرُّ بالميزانِ والحَوضِ الذي أَرجو بأَنِّي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ)

(أُقر) أي: أعترف، وأصدق، وأومن بالميزان والحوض.

(الميزان): يقول ابن منظور: «الموازين جمع ميزان، واحدها ميزان، وهي المثاقيل، واحدها مثقال»(٢).

والأدلة علىٰ إثبات الميزان كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع.

أما الأدلة من الكتاب؛ فمنها:

(١) **قوله تعالىٰ:** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

(٢) **ويقول** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: ٨- ١٠].

---

(١) شرح السفارينية ص(٢٧٦).

(٢) لسان العرب (١٥/ ٢٩٠).

(٣) ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٦- ١١].

وأما الأدلة من السنة؛ فمنها:

(١) جاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

(٢) ما جاء في البخاري، ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[١].

(٣) ما جاء عند الترمذي، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب»، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل إن شاء الله تعالىٰ**». قلت: فأين أطلبك؟ قال: «**أول ما تطلبني علىٰ الصراط**». قلت: فإن لم ألقك علىٰ الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**».

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض؛ فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن**».

(٤) وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب، لمن يزن هذا؟**

---

(١) البخاري، برقم: (٤٤٥٢)، ومسلم، برقم: (٧٢٢٢).

فيقول الله: لمن شئت من خلقي. فيقولون: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك».

قال الألباني: (صحيح لغيره)[١].

۞ أدلة إثبات الميزان متواترة:

يقول في «التنبيهات السنية»: «تكاثرت أدلة الكتاب والسنة في إثبات الميزان، كما تواترت بذلك الأحاديث»[٢].

۞ الإجماع على إثبات الميزان:

يقول الحافظ: «قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْمِيزَانِ، وَأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، وَيَمِيل بِالْأَعْمَالِ»[٣].

۞ هل هو ميزان واحد أم عدة موازين؟

يقول الحافظ: «وَاخْتُلِفَ فِي ذِكْرِهِ هُنَا بِلَفْظِ الْجَمْع: هَلِ الْمُرَادُ أَنَّ لِكُلّ شَخْصٍ مِيزَانًا أَوْ لِكُلِّ عَمَل مِيزَان؛ فَيَكُون الْجَمْعُ حَقِيقَة أَوْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا مِيزَان وَاحِد، وَالْجَمْع بِاعْتِبَارِ تَعَدُّد الْأَعْمَال أَوِ الْأَشْخَاص؟ وَيَدُلّ عَلَىٰ تَعَدُّد الْأَعْمَال قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩]، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْجَمْع لِلتَّفْخِيمِ، كَمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُرْسَل إِلَيْهِمْ إِلَّا وَاحِد، وَالَّذِي يَتَرَجَّح أَنَّهُ مِيزَان وَاحِد وَلَا يُشْكَل بِكَثْرَةِ مَنْ يُوزَن عَمَله؛ لِأَنَّ أَحْوَال الْقِيَامَة لَا تُكَيَّف بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا، وَالْقِسْط الْعَدْل، وَهُوَ نَعْت

---

(١) صحيح الترغيب برقم: (٣٦٢٦).

(٢) التنبيهات السنية ص(٢٢٨).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٦٦٠).

الْمَوَازِين وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا وَهِيَ جَمْع؛ لِأَنَّهُ مَصْدَر»(١).

ويقول في «التنبيهات السنية»: «والصحيح أنه ميزان واحد»(٢).

ما الذي يوزن يوم القيامة؟

يقول الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم ما الذي يُوزن أهو العمل أو صاحب العمل أو كتاب العمل؟

في هذا للعلماء ثلاثة أقوال:

١- **قيل**: إن الذي يُوزن العمل، واستدل هؤلاء بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وبقوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وبقول النبي ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمن، ثقيلتان في الميزان، خفيفتان علىٰ اللسان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**». فقال: «**ثقيلتان في الميزان**»، وهذه نصوص واضحة في أن الذي يُوزن العمل، فيبقىٰ عليه الإشكال الذي أورده المعتزلة، وردُّوا به النصوص، وهو أن الأعمال أوصاف ومعانٍ فكيف تُوزن؟

نقول: إن الله قادرٌ علىٰ أن يجعلها أجسامًا فتُوزن(٣).

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٦٥٩).

(٢) التنبيهات السنية ص(٢٢٨).

(٣) شرح السفارينية ص(٤٧١).

قلت[١]: وهذا قول الحافظ ابن حجر[٢].

٢- **القول الثاني**: أن الذي يُوزن صحائف العمل، وأن هذه الصحائف تثقل وتخف بحسب ما فيها من الأعمال، واستدلوا لهذا بحديث صاحب البطاقة، الذي يُمدُّ له سجل من المعاصي، ثم يُؤتىٰ بطاقة صغيرة فيها كلمة الإخلاص، فيقول هذا الرجل: وما تصنع هذه البطاقة بهذه السجلات؟! فيُقال: «**إنك لا تُظلم**». ثم توضع البطاقة في كِفَّة والسجلات في كِفَّة، فترجح البطاقة.

وهذا يدل علىٰ أن الذي يُوزن الصحيفة صحيفة العمل.

قلت[٣]: وهذا قول ابن عبد البر والقرطبي[٤]، والسفاريني[٥].

٣- **القول الثالث**: أن الذي يُوزن صاحب العمل، واستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: ١٠٥]، قال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ﴾، ولم يقل: (لأعمالهم) ولا: (لصحائف أعمالهم).

واستدلوا بحديث ابن مسعود الذي ذكرناه آنفًا.

فإذا قال قائل: لا شك أن الاستدلال بحديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ لا يقاوم الأدلة الدالة من القرآن والسنة علىٰ أن الذي يُوزن هو العمل.

ولهذا صرَّح شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «العقيدة الواسطية»، قال: «فتُنْصَبُ

---

(١) أبو عمار - وفقه الله -.

(٢) فتح الباري (١٥/ ٥٢٣) وغيره.

(٣) أبو عمار - سدده الله -.

(٤) التذكرة ص(٢٢٣).

(٥) لوامع الأنوار(٢/ ١٨٧).

الموازين، فتُوزن بها أعمال العباد، وهو الحق».

لكن حديث البطاقة قد يُقال: إن هذا خاصٌّ به وبأمثاله من أجل أن يتبيَّن له فضل الله عليه.

وقد يُقال: إنه لما وُزنت الصحيفة، وثقلت بحسب العمل، فإن الوزن حقيقةً يكون للعمل، وأما حديث ابن مسعود والآية فلا تدل علىٰ ذلك؛ لأن معنىٰ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾: يعني: لا نقيم لهم قيمة، كما تقول: فلان ليس له عندي وزن؛ أي لا قيمة له ولا اعتبار.

وأما حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأراد النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن خفة الوزن لا تدل علىٰ قلَّة العمل أو علىٰ خفته، وليس بذاك الصريح، فالمعتمد أن التي تُوزن هي الأعمال نفسها».

٤- **قلت**[1]: وهناك قول رابع وهو أن الذي يوزن هو صاحب العمل، والعمل نفسه، وهذا القول رجحه ابن أبي العز كما في الطحاوية، وقال به الحافظ حكمي[2]، وقال به ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ[3].

ويظهر - والله أعلم - أن هذا القول هو الراجح جمعًا بين الأدلة.

هل الوزن لكل أحد؟

يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: «الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد؛ بدليل قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه**».

---

(١) أبو عمار - وفقه الله تعالىٰ -.

(٢) معارج القبول (٢/ ٨٤٥).

(٣) شرح الواسطية، بتعليقاته (٢/ ٥٥٩).

الحديث، وقوله تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ الآية، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين، وقد يكون للكافرين علىٰ ما ذكرنا ويأتي، وقال أبو حامد: والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب؛ لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفًا»(١).

قوله:

(...والحَـــــوضِ الـــــذِي أَرجــو بــأَنِّي مِنْــهُ رِيًّــا أَنْهَــلُ)

الحوض لغة: يقول ابن منظور: «حاض الماء وغيره حوضًا وحوضه حاطه وجمعه، وحضت أحوض اتخذت حوضًا، واستحوض الماء اجتمع»(٢).

والحوض هو مجمع الماء الذي أعطيه رسولنا ﷺ يوم القيامة.

وقد ذكر الشيخ الفوزان - حفظه الله - أن الحافظ السيوطي قال: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًّا؛ منهم الخلفاء الأربعة الراشدون وحفاظ الصحابة المكثرون، وغيرهم، رضوان الله عليهم أجمعين»(٣). انتهىٰ.

وأدلة إثبات الحوض كثيرة متواترة؛ منها:

(١) ما جاء في البخاري عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ -، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا**

(١) التذكرة ص(٣٧٩).

(٢) لسان العرب (٣/ ٣٥٩).

(٣) الإرشاد ص(٢٤٤).

بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»[(١)].

(٢) ومنها ما جاء في مسلم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَىٰ الْحَوْضِ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أي رَبِّ، أصحابي أصحابي. فَلَيُقَالَنَّ لي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(٢)].

(٣)ومنها ما جاء في البخاري، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح**»[(٣)].

(٤)ومنها ما جاء في البخاري، عن سهل بن سعد يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أنا فرطكم علىٰ الحوض، من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم**»[(٤)].

(٥)ومنها ما جاء في مسلم عَنْ عَائِشَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَي أَصْحَابِهِ: «**إِنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلأَقُولَنَّ: أَي رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ**»[(٥)].

(٦)ومنها ما جاء في مسلم، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ قَتْلَىٰ أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ**

---

(١) البخاري، برقم: (١٣٤٤).

(٢) مسلم، برقم: (٦١٣٦).

(٣) البخاري، برقم: (٦٢٠٦).

(٤) البخاري، برقم: (٦٦٤٣).

(٥) مسلم، برقم: (٦١١٣).

عَلَىٰ الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَىٰ الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(١).

وكما مر معنا أن أحاديث الحوض بلغت حدَّ التواتر، وكما مر معنا:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَن كَذَب ... وَمَنْ بَنَىٰ للهِ بَيْتًا وَاحْتَسَب

وَرُؤْيَةٌ شَفَاعَةٌ وَالحَوْضُ ... وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

ويقول حافظ حكمي: «وَقَدْ وَرَدَ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ وَتَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ بِهِ وَإِثْبَاتِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ طُرُقِ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاشْتَهَرَ، وَاسْتَفَاضَ، بَلْ تَوَاتَرَ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ مِنَ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ، فَمِمَّنْ رَوَىٰ ذَلِكَ عَنْهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَحَارِثَةُ بْنُ وَهْبٍ وَجُنْدَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ وَعَائِشَةُ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَثَوْبَانُ وَأَبُو ذَرٍّ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَزَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَسَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ وَحُذَيْفَةُ وَأَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ وَالْمُسْتَوْرِدُ بْنُ شَدَّادٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ»(٢).

ويقول ابن أبي العز: «الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعٌ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا»(٣).

---

(١) مسلم، برقم: (٦١١٧).

(٢) معارج القبول (٢/ ٢٤٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٧٤).

﴿ صفة الحوض:

ثم قال (ابن أبي العز): «وَالَّذِي يَتَلَخَّصُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ: أَنَّهُ حَوْضٌ عَظِيمٌ، وَمَوْرِدٌ كَرِيمٌ، يُمَدُّ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ، مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الِاتِّسَاعِ، عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ، كُلُّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: أَنَّهُ كُلَّمَا شُرِبَ مِنْهُ وَهُوَ فِي زِيَادَةٍ وَاتِّسَاعٍ، وَأَنَّهُ يَنْبُتُ فِي حَالٍ مِنَ الْمِسْكِ وَالرَّضْرَاضِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ قُضْبَانَ الذَّهَبِ، وَيُثْمِرُ أَلْوَانَ الْجَوَاهِرِ، فَسُبْحَانَ الْخَالِقِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَقَدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّ حَوْضَ نَبِيِّنَا ﷺ أَعْظَمُهَا وَأَحْلَاهَا وَأَكْثَرُهَا وَارِدًا**». جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ».

﴿ أيهما قبل الحوض أم الميزان؟

يقول القرطبي: «واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟ فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قلت - الكلام للقرطبي -: والمعنىٰ يقتضيه؛ فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل الصراط والميزان، والله أعلم، وقال أبو حامد في كتاب «كشف علوم الآخرة»: وحكىٰ بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله»[1].

---

(١) التذكرة (١/ ٣٦٨).

أيهما قبل الصراط أم الحوض؟

يقول الحافظ: «وَإِيرَاد الْبُخَارِيّ لِأَحَادِيث الْحَوْض بَعْد أَحَادِيث الشَّفَاعَة وَبَعْد نَصْب الصِّرَاط - إِشَارَة مِنْهُ إِلَىٰ أَنَّ الْوُرُود عَلَىٰ الْحَوْض يَكُون بَعْد نَصْب الصِّرَاط وَالْمُرُور عَلَيْهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَد وَالتِّرْمِذِيّ مِنْ حَدِيث النَّضْر بْن أَنَس عَنْ أَنَس، قَالَ: سَأَلْت رَسُول الله ﷺ أَنْ يَشْفَع لِي، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِل**». فَقُلْت: أَيْنَ أَطْلُبك؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبنِي عَلَىٰ الصِّرَاط**». قُلْت: فَإِنْ لَمْ أَلْقَك؟ قَالَ: «**أَنَا عِنْد الْمِيزَان**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَك؟ قَالَ:«**أَنَا عِنْد الْحَوْض**». وَقَدِ اسْتُشْكِلَ كَوْن الْحَوْض بَعْد الصِّرَاط بِمَا سَيَأْتِي فِي بَعْض أَحَادِيث هَذَا الْبَاب أَنَّ جَمَاعَة يُدْفَعُونَ عَنِ الْحَوْض بَعْدَ أَنْ يَكَادُوا يَرِدُونَ، وَيُذْهَب بِهِمْ إِلَىٰ النَّار، وَوَجْه الْإِشْكَال أَنَّ الَّذِي يَمُرّ عَلَىٰ الصِّرَاط إِلَىٰ أَنْ يَصِل إِلَىٰ الْحَوْض يَكُون قَدْ نَجَا مِنَ النَّار فَكَيْف يُرَدُّ إِلَيْهَا؟! وَيُمْكِن أَنْ يُحْمَل عَلَىٰ أَنَّهُمْ يُقَرَّبُونَ مِنَ الْحَوْض بِحَيْثُ يَرَوْنَهُ وَيَرَوْنَ النَّار، فَيُدْفَعُونَ إِلَىٰ النَّار قَبْل أَنْ يَخْلُصُوا مِنْ بَقِيَّة الصِّرَاط، وَقَالَ أَبُو عَبْد الله الْقُرْطُبِيّ فِي «التَّذْكِرَة»: ذَهَبَ صَاحِبُ «الْقُوت» وَغَيْره إِلَىٰ أَنَّ الْحَوْض يَكُون بَعْد الصِّرَاط، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَىٰ الْعَكْس، وَالصَّحِيح أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَوْضَيْنِ؛ أَحَدهمَا فِي الْمَوْقِف قَبْل الصِّرَاط وَالْآخَر دَاخِلَ الْجَنَّة، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُسَمَّىٰ كَوْثَرًا. قُلْت: وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَر نَهَر دَاخِلَ الْجَنَّة كَمَا تَقَدَّمَ، وَيَأْتِي، وَمَاؤُهُ يُصَبّ فِي الْحَوْض، وَيُطْلَق عَلَىٰ الْحَوْض كَوْثَر لِكَوْنِهِ يُمَدّ مِنْهُ، فَغَايَة مَا يُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِ الْقُرْطُبِيِّ أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ قَبْلَ الصِّرَاطِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَرِدُونَ الْمَوْقِفَ عَطَاشَىٰ فَيَرِدُ الْمُؤْمِنُونَ الْحَوْضَ وَتَتَسَاقَطُ الْكُفَّار فِي النَّار بَعْد أَنْ يَقُولُوا: رَبَّنَا عَطِشْنَا. فَتُرْفَع لَهُمْ جَهَنَّم كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَال: أَلَا تَرِدُونَ؟

فَيظُنُّونَهَا مَاءً فَيَتَسَاقطُونَ فِيهَا.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِم مِنْ حَدِيث أَبِي ذَرّ أَنَّ الْحَوْض يَشْخَب فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّة، وَلَهُ شَاهِد مِنْ حَدِيث ثَوْبَانَ، وَهُوَ حُجَّة عَلَىٰ الْقُرْطُبِيّ لَا لَهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الصِّرَاط جِسْر جَهَنَّم، وَأَنَّهُ بَيْن الْمَوْقِف وَالْجَنَّة، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ لِدُخُولِ الْجَنَّة، فَلَوْ كَانَ الْحَوْض دُونه لَحَالَتِ النَّار بَيْنه وَبَيْن الْمَاء الَّذِي يُصَبّ مِنَ الْكَوْثَر فِي الْحَوْضِ، وَظَاهِر الْحَدِيث أَنَّ الْحَوْض بِجَانِبِ الْجَنَّة لِيَنْصَبّ فِيهِ الْمَاء مِنَ النَّهَر الَّذِي دَاخِلهَا، وَفِي حَدِيث ابْن مَسْعُود عِنْد أَحْمَد: «**وَيُفْتَح نَهَر الْكَوْثَر إِلَىٰ الْحَوْض**». وَقَدْ قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: ظَاهِر قَوْله ﷺ فِي حَدِيث الْحَوْض: «**مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**». يَدُلّ عَلَىٰ أَنَّ الشُّرْب مِنْهُ يَقَع بَعْد الْحِسَاب وَالنَّجَاة مِنَ النَّار؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ حَال مَنْ لَا يَظْمَأ أَنْ لَا يُعَذَّب بِالنَّارِ، وَلَكِنْ يَحْتَمِل أَنَّ مَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ التَّعْذِيب مِنْهُمْ أَنْ لَا يُعَذَّب فِيهَا بِالظَّمَأِ، بَلْ بِغَيْرِهِ. قُلْت: وَيَدْفَع هَذَا الِاحْتِمَال أَنَّهُ وَقَعَ فِي حَدِيث أُبَيّ بْن كَعْب عِنْد ابْن أَبِي عَاصِم فِي ذِكْر الْحَوْض: «**وَمَنْ لَمْ يَشْرَب مِنْهُ لَمْ يُرْوَ أَبَدًا**». وَعِنْد عَبْد الله بْن أَحْمَد فِي زِيَادَات الْمُسْنَد فِي الْحَدِيث الطَّوِيل عَنْ لَقِيط بْن عَامِر أَنَّهُ: «وَفَدَ عَلَىٰ رَسُول الله ﷺ هُوَ وَنَهِيك بْن عَاصِم، قَالَ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَة عِنْد انْسِلَاخ رَجَب، فَلَقِينَا رَسُول الله ﷺ حِين انْصَرَفَ مِنْ صَلَاة الْغَدَاة» الْحَدِيث بِطُولِهِ فِي صِفَة الْجَنَّة وَالْبَعْث، وَفِيهِ: «**تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صَفَحَاتُكُمْ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَة، فَيَأْخُذ غَرْفَة مِنْ مَاء، فَيَنْضَح بِهَا قِبَلَكُمْ، فَلَعَمْر إِلَهك مَا يُخْطِئ وَجْهَ أَحَدكُمْ قَطْرَةٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِم فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرَّيْطَة الْبَيْضَاء، وَأَمَّا الْكَافِر فَتَخْطِمهُ مِثْل الْخِطَام الْأَسْوَد، ثُمَّ يَنْصَرِف نَبِيّكُمْ، وَيَنْصَرِف عَلَىٰ أَثَره الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ**

جِسْرًا مِنَ النَّار، يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَة فَيَقُول: حَسِّ. فَيَقُول رَبّك: أَوَانُهُ إِلَا. فَيَطَّلِعُونَ عَلَىٰ حَوْض الرَّسُول عَلَىٰ أَظِمَاء وَاللهِ نَاهِلَة رَأَيْتهَا أَبَدًا مَا يَبْسُط أَحَد مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَىٰ قَدَح» الْحَدِيث. وَأَخْرَجَهُ ابْن أَبِي عَاصِم فِي السُّنَّة وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِم، وَهُوَ صَرِيح فِي أَنَّ الْحَوْض قَبْل الصِّرَاطِ»[(١)].

ويقول ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «زمن الحوض قبل العبور على الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك؛ حيث إن الناس في حاجة إلىٰ الشرب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط»[(٢)].

هل الحوض خاص بنبينا ﷺ أم لكل نبي حوض؟

يقول الشيخ ابن عثيمين: «اختلف في ذلك أهل العلم:

(١) فمنهم من قال: إنه لا حوض إلا لرسول الله ﷺ؛ لأنه هو الحوض الذي تواترت فيه الأدلة؛ ولأن رسالة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عامة لكل الخلق، فيكون التابعون له أكثر فيحتاجون إلىٰ ماء يَروي ظمأهم.

(٢) وقال بعض العلماء: بل لكل نبيٍّ حوض، ولكن الأكبر والأعظم والأفضل والأكمل هو حوض الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد جاء في هذا حديثٌ رواه الترمذي بإسنادٍ لا بأس به، وهذا القول هو الراجح: أن لكل نبيٍّ حوضًا، ولكن الحوض الكبير الأعظم الأمثل الأكمل هو حوض النبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٥٦٧).

(٢) شرح الواسطية (١/ ١٨٥).

أولًا: لهذا الحديث الذي أشرتُ إليه.

وثانيًا: أن هذا من كمال عدل الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن من نهل من شرعه في الدنيا جزاؤه أن ينهل من أحواض الأنبياء يوم القيامة»[١].

ويقول ابن أبي العز: «وَقَدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّ حَوْضَ نَبِيِّنَا** ﷺ **أَعْظَمُهَا وَأَحْلَاهَا وَأَكْثَرُهَا وَارِدًا**». جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ»[٢].

قوله:

(وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ)

أي: وكذلك أومن بالصراط الذي يمدُّ فوق جهنم.

والصراط في اللغة: الطريق الواضح[٣].

واصطلاحًا: هو: أي: الجسر المنصوب علىٰ جهنم لعبور المسلمين عليه إلىٰ الجنة[٤].

قوله: (فمسلم ناج): أي من سلم وعبر علىٰ الصراط فهو ناجٍ من النار، **(وآخر)**: أي: هناك قسم لم يسلم، فيُهمل، ويُلقىٰ في النار عياذًا بالله.

والأدلة على الصراط كثيرة؛ منها:

قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ

---

(١) شرح السفارينية (٤٨٢).

(٢) شرح الطحاوية ص(٢٧٦).

(٣) التنبيهات السنية ص(٢٣٥).

(٤) فتح الباري (١١/ ٥٤٣).

ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الحديد: ١٢- ١٥].

❁ وأما الأدلة من السنة:

فمنها ما جاء في البخاري، ومسلم، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِي أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**».

قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَىٰ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ؟**». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ**

النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِي بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَىٰ حَتَّىٰ يُنَجَّىٰ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ؛ حَرَّمَ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ»[1] ... إلخ.

ومنها ما جاء في مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَىٰ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ. قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَىٰ ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ». قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ

---

(١) البخاري، برقم: (٧٠٠١)، ومسلم برقم: (٤٦٩).

عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا[1].

والأدلة في هذا الباب وفيرة، ومن أراد زيادة ذلك فليرجع إلىٰ مظانها، وقد أنشد صاحب «سلم الأصول» أبياتًا في الصراط قال فيها:

وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلَا امْتِرَاءِ كَمَا أَتَىٰ فِي مُحْكَمِ الْأَنْبَاءِ

يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَىٰ أَحْوَالِ بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ

فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إِلَىٰ الْجِنَانِ وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ

قوله:

(والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ وكذا التَّقِيُّ إلىٰ الجِنَانِ سَيَدْخُلُ)

النار: هو اسم ترجع إليه بقية أسمائها، واسم النار قد ذكره ربنا في القرآن عدة مرات؛ منها قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل: ١٤-١٧]، ومن أسماء النار (سقر)، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٧]، ومن أسماء النار (الحُطمة): ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾

---

(١) مسلم، برقم: (٥٠٣).

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ١- ٩]، ومن أسماء النار (سعير): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾، ولها أسماء كثيرة.

وقوله: **(يصلاها الشقي)**: لعله يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل: ١٤- ١٧]، يقول المفسر القُرطبي: «﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾، أي: لا يجد صلاها، وهو حرها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ أي: الشقي»[١].

قوله: (والنار يصلاها الشقي):

عقيدة أهل السنة أن الذين يدخلون النار على قسمين:

القسم الأول: الكفار والمشركون شركًا أكبر والمنافقون نفاقًا أكبر، وهؤلاء مخلدون في النار، والدليل علىٰ ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

القسم الثاني: أصحاب الكبائر إن دخلوها، وهؤلاء إن دخلوا النار فإن مآلهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥٩).

إلىٰ الجنة؛ لأن عقيدة أهل السنة أن أمر أصحاب الكبائر إلىٰ الله؛ إن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم. والأدلة علىٰ هذا المعتقد كثيرة؛ منها:

(١) **قوله تعالىٰ**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

فخصَّ الله بعدم المغفرة الشرك به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن ما دون الشرك يغفره الله، والكبائر هي دون الشرك.

(٢) ما جاء في البخاري، ومسلم، من حديث أبي ذرٍّ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِي ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ مَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ؛ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ. قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ. قَالَ: «**وَإِنْ زَنَىٰ وَإِنْ سَرَقَ**». ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**عَلَىٰ رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**». قَالَ: فَخَرَجَ أَبُو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ(١). وهذا واضح في الدلالة، يقول الحافظ: «ففي الحديث حجة لأهل السنة، ورد علىٰ من زعم من الخوارج والمعتزلة أن صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة يخلد في النار»(٢).

(٣) ما جاء في الذين يخرجون من النار بالشفاعة؛ فقد جاء في البخاري، ومسلم، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ**

---

(١) البخاري، برقم: (٣٢٢٢)، ومسلم، برقم: (٢٨٣).

(٢) فتح الباري (٣/ ١٤٤).

مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدِ اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَا أَوِ الْحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ -، **فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ؛ أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**». قَالَ وُهَيْبٌ: حَدَّثَنَا عَمْرٌو: «**الْحَيَاةِ**»، وَقَالَ: «**خَرْدَلٍ مِنْ خَيْرٍ**»[1].

فقد أثبت لهم الخروج من النار بعد أن دخلوها؛ لأن عندهم مثقال ذرة من إيمان يدل أنهم علىٰ الإسلام، لكن عندهم كبائر.

وأيضًا لو قلنا بأن مرتكب الكبيرة مخلَّد في النار؛ للزم تكفيره، مع أن الشرع لم يكفره؛ فمثلًا إقامة الحدود علىٰ مرتكب الكبيرة هل هذا إلا دليل علىٰ إسلامه؛ فمثلًا من زنىٰ أقيم عليه حد الزنىٰ المعروف، ومن سرق قطعت يده، ومن شرب الخمر جُلد، وهكذا تختلف العقوبات من كبيرة إلىٰ أخرىٰ، ولو كانوا كفارًا بارتكاب الكبائر لكان حدهم عقوبة واحدة وهي القتل ردة، ولما حصل تنوُّع في العقوبات[2]، يقول الإمام النووي: «دَلَالَة لِمَذْهَبِ أَهْل الْحَقّ: أَنَّهُ لَا يَخْلُد أَصْحَاب الْكَبَائِر فِي النَّار؛ خِلَافًا لِلْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَة، وَخَصَّ الزِّنَا وَالسَّرِقَة بِالذِّكْرِ لِكَوْنِهِمَا مِنْ أَفْحَشِ الْكَبَائِر، وَهُوَ دَاخِل فِي أَحَادِيث الرَّجَاء»[3].

والأحاديث التي تدل علىٰ أن مرتكب الكبيرة إن دخل النار لا يُخلَّد؛ متواترة.

قال الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله: «وأجمع أهل السنة والجماعة : أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا علىٰ التوحيد، وأن من

---

(١) البخاري، برقم: (٢٢)، ومسلم، برقم: (٤٧٥).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٤٥).

(٣) شرح مسلم (٧/ ٧٨) عند حديث: «..**وإن زنىٰ**» المذكور.

دخل النار منهم بذنبه يخرج منها، كما تواترت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ»[١].

وقد نُقل إجماع أهل السنة علىٰ أن صاحب الكبيرة أمره إلىٰ الله تعالىٰ إن شاء عذبه، وإن شاء رحمه، وأنه لا يخلد في النار، وممن نقل الإجماع علىٰ ذلك الإمام النووي في شرح مسلم في شرح حديث: «**وإن زنىٰ وإن سرق...**»؛ قال: «مَعَ إِجْمَاع أَهْل الْحَقّ عَلَىٰ أَنَّ الزَّانِيَ وَالسَّارِقَ وَالْقَاتِلَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَصْحَاب الْكَبَائِر غَيْر الشِّرْك؛ لَا يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ، بَلْ هُمْ مُؤْمِنُونَ نَاقِصُو الْإِيمَان، إِنْ تَابُوا سَقَطَتْ عُقُوبَتهمْ، وَإِنْ مَاتُوا مُصِرِّينَ عَلَىٰ الْكَبَائِر كَانُوا فِي الْمَشِيئَة، فَإِنْ شَاءَ الله تَعَالَىٰ عَفَا عَنْهُمْ، وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّة أَوَّلًا، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، ثُمَّ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّة».

وممن نقل الإجماع صاحب «الدرر السنية» عن الشيخ بابطين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ قال: «وأجمع أهل السنة والجماعة أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا علىٰ التوحيد؛ وأن من دخل النار منهم بذنبه يخرج منها»[٢]. ويقول الإمام اللالكائي: باب: الشفاعة لأهل الكبائر، سياق ما روي عن النبي ﷺ في الشفاعة لأمته، وأن أهل الكبائر إذا ماتوا عن غير توبة يدخلهم الله إن شاء النار، ثم يخرجهم منها بفضل رحمته، ويدخلهم الجنة[٣].

الفرق التي خالفت أهل السنة في أهل الكبائر:

المعتزلة والخوارج قالوا بتخليد صاحب الكبيرة في النار، فالخوارج قالوا: لأنه كافر. والمعتزلة قالوا: لا هو مؤمن ولا كافر، منزلة بين منزلتين. والرد

(١) الدرر السنية (١/ ٣٤٥).

(٢) الدرر السنية (١/ ٣٤٥).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٩٢٥).

عليهم بما تقدم ذكره، ومن أراد المزيد فليرجع إلىٰ «شرح الطحاوية»[(١)]، وغيرها من المراجع؛ لأن شرحنا هُنا مُختصر، والله الموفق.

قوله: (وكذا التقي إلى الجنان سيدخل):

جمع المؤلف بين الشقي والتقي مع ذكر الفارق بينهما؛ وهذا منه اقتداء بالقرآن الكريم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٢- ١٠٨].

والتقوىٰ قد عُرفت بعدة تعاريف عند العلماء؛ منها:

أن يُعبَد الله عَزَّوَجَلَّ فلا يُعصىٰ، وأن يُذكر فلا يُنسىٰ، وأن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر.

ومنهم من عرفها فقال: التقوىٰ الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل - بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ -، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأصل التقوىٰ أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه[(٢)].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص(٥٠٢).

(٢) الدرة المفقودة ص(٤).

❁ قوله: (التقي إلى الجنان سيدخل):

الفرق بين الجَنة والجُنة والجِنة؛ **أن الجَنة - بالفتح** - قال ابن القيم: «الجَنة: وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين»(١).

وأما الجُنة - بالضم -: فهي الوقاية، كما قال رسولنا ﷺ: «**الصيام جُنة**». أي: وقاية.

والجِنة - بالكسر -: هم الجن، كما قال تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

❁ وقوله: (إلى الجنان سيدخل):

هذا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣١- ٣٦].

ولقوله تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٣، ٧٤].

وهذا حكم عام من شيخ الإسلام؛ أن يُقال: الشقي إلىٰ النار والتقي إلىٰ الجنة.

وأما الحكم الخاص علىٰ أحد بالجنة؛ أن يُقال: فلان من أهل الجنة. فهذا حصل فيه خلاف بين أهل العلم علىٰ ثلاثة أقوال، يقول الإمام ابن أبي العز: «وَلِلسَّلَفِ فِي الشَّهَادَة بِالْجَنَّة ثَلَاثَة أَقْوَالٍ:

---

(١) حادي الأرواح ص(٢٢٦).

أَحَدُهَا: أَنْ لَا يُشْهَدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا يُنْقَلُ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَالْأَوْزَاعِي.

والثاني: أنه يُشْهَدُ بِالْجَنَّة لِكُلِّ مُؤْمِنٍ جَاءَ فيه النَّصُّ، وَهَذَا قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ»[١].

قلت - **أبو عمار غفر الله له** -: وقد نقل صاحب كتاب «موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي» أن هذا مجمع عليه عند أهل السنة؛ حيث قال: «ولا يقطع لأحد بالجنة علىٰ التعيين إلا من ثبت فيه نصٌّ؛ كالصحابة العشرة المبشرين بالجنة وأشباههم، وهذا مجمع عليه عند أهل السنة»[٢].

«**وَالثَّالِثُ**: أنه يُشْهَدُ بِالْجَنَّة لِهَؤُلَاءِ، وَلِمَنْ شَهِدَ له الْمُؤْمِنُونَ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ: أنه مُرَّ بِجِنَازَة، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا بِخَيْرٍ، فَقَالَ النبي ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، وَمُرَّ بِأُخْرَىٰ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا بِشَرٍّ، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**». وفي رِوَايَة: كَرَّرَ: «**وَجَبَتْ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله، مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله فِي الْأَرْضِ**». وَقَالَ ﷺ: «**تُوشِكُونَ أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ**». فَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعْلَمُ به أَهْلُ الْجَنَّة وَأَهْلُ النَّارِ».

قلت - **أبو عمار سدده الله** -: وهو الذي مشىٰ عليه الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ حيث قال: مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقَالَ نَبِي اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ،**

(١) شرح الطحاوية (٥١٤).

(٢) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (١/ ٢٨١).

وَجَبَتْ». وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقَالَ نَبِي اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ**». قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِي عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ. وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»[1].

«وأمَّا مَعْنَاهُ فَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ:

أَحدهما: أَنَّ هَذَا الثَّنَاء بِالْخَيرِ لِمَنْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضل؛ فكَانَ ثَنَاؤُهُمْ مُطَابِقًا لِأَفْعَالِهِ، فَيكُون مِنْ أَهْل الْجنَّة، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ هُوَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ.

وَالثَّانِي - وَهُوَ الصَّحِيح الْمُخْتَار -: أَنَّهُ عَلَىٰ عُمُومه وَإِطْلَاقه، وَأَنَّ كُلّ مُسْلِم مَاتَ فَأَلْهَمَ الله تَعَالَىٰ النَّاسَ أَوْ مُعْظَمَهُمُ الثَّنَاء عَلَيْهِ؛ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجنَّة، سَوَاء كَانَتْ أَفْعَاله تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَاله تَقْتَضِيه فَلَا تُحتَّمُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَة، بَلْ هُوَ فِي خَطَر الْمَشِيئَة، فَإِذَا أَلْهَمَ الله عَزَّوَجَلَّ النَّاس الثَّنَاء عَلَيْهِ اسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قَدْ شَاءَ الْمَغْفِرَة لَهُ، وَبِهَذَا تَظْهَر فَائِدَة الثَّنَاء». اهـ.

قوله:

(ولِكُلِّ حَيٍّ عاقلٍ في قَبرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ)

وهذا البيت يذكر فيه ويُحرر فيه مسألة عذاب القبر، ويرد علىٰ من أنكره.

---

(١) شرح مسلم (٧/ ٢٢) في شرح حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ برقم: (٢٢٤٣).

الأدلة على إثبات عذاب القبر أو نعيمه:

(١) **قال الله تعالىٰ في حق آل فرعون:** ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وهذا واضح أنه في القبور.

(٢) **قال الله تعالىٰ:** ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٤]، جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، فيرحب فيوسع له قبره سبعون ذراعًا، وينور له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيم أنزلت هذه الآية:** ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ قال: **أتدرون ما المعيشة الضنك؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا، أتدرون ما التنين؟ سبعون حية، لكل حية سبعة رءوس يلسعونه ويخدشونه إلىٰ يوم القيامة**»(١).

(٣) **قوله تعالىٰ:** ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]، يقول المفسر الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في «أضواء البيان» عند هذه الآية: «كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ الْآيَةَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ [التوبة: ١٤]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ دُخُولِ عَذَابِ الْقَبْرِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُ فِي ظَاهِرِ الْآيَةِ، وَمَا قِيلَ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ غَيْرُ هَذَا لَا يَتَّجِهُ عِنْدِي، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ».

---

(١) رواه أبو يعلىٰ وابن حبان في صحيحه، واللفظ له، كلاهما من طريق دراج عن ابن حجيرة عنه، وقد حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: (٣٥٥٢).

والأدلة من السنة في هذا الباب كثيرة؛ منها:

ما جاء في البخاري، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**». قَالَ: فَإِنْ رَأَىٰ أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: «**هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**». قُلْنَا: لَا. قَالَ: «**لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ**». قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَىٰ: «**أَنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَىٰ هَذَا حَتَّىٰ يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَىٰ وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا**

رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الْآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ الْأُولَىٰ الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»(١).

يقول الإمام القرطبي: «فصل: قال علماؤنا - رحمة الله عليهم -: لا أبين في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخاري، وإن كان منامًا فمنامات الأنبياء - عليهم السلام - وحي بدليل قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾، فأجابه ابنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾»(٢).

ومن الأدلة علىٰ إثبات عذاب القبر؛ ما جاء في البخاري، ومسلم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ أَخَذَ

(١) البخاري، برقم: (٦٦٤٠).

(٢) التذكرة (١/ ١٦٩).

جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١).

ومن الأدلة علىٰ إثبات عذاب القبور: ما جاء من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتىٰ صارت جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارًا، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: علام جلدتموني؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت علىٰ مظلوم فلم تنصره**».

رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب التوبيخ، قال الألباني: (حسن لغيره)(٢).

وأما الأدلة علىٰ نعيم القبر فهي كثيرة، نذكر منها ما جاء من حديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إن الميت إذا وُضِعَ في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلىٰ الناس عند رجليه، فيؤتىٰ من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتىٰ عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتىٰ عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتىٰ من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسان إلىٰ الناس: ما قبلي مدخل. فيقال له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الذي كان قبلكم، ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول:**

---

(١) البخاري، برقم: (٤٧٣)، برقم: (٧٠٣).

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٢٣٤).

دعوني حتىٰ أصلي. فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان قبلكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد، أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله. فيقال له: علىٰ ذلك حييت، وعلىٰ ذلك مت، وعلىٰ ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها. فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته. فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد كما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسيم الطيب - وهي طير تعلق في شجر الجنة -، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ الآية، وإن الكافر إذا أتي من قِبَل رأسه لم يوجد شيء، ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء، ثم أتي من قِبَلِ رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اجلس. فيجلس مرعوبًا خائفًا، فيقال: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: أي رجل؟ ولا يهتدي لاسمه، فيقال له: محمد. فيقول: لا أدري، سمعت الناس قالوا قولًا فقلت كما قال الناس. فيقال له: علىٰ ذلك حييت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها. فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، ويقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو أطعته. فيزداد حسرة وثبورًا، ثم يضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.

رواه الطبراني في «الأوسط» وابن حبان في صحيحه، واللفظ له، قال الألباني: (حسن)[١].

ومن الأدلة على ذلك؛ ما جاء عند أحمد، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ - قَالَ الْحَكَمُ: - **سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى** - قَالَ الْحَكَمُ: **وَيُرَى** - **مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ** - قَالَ الْحَكَمُ: **يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ** -، **وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِه**»[٢].

ومن الأدلة ما جاء عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الصّدقة لَتطفئُ عن أهْلِها حرَّ القُبورِ، وإنّما يستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامةِ في ظلِّ صَدَقَتِه**»[٣].

وقد جاءت أدلة جمعت بين ذكر النعيم وذكر عذاب القبر؛ منها ما جاء عند أحمد، من حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْقَبْرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**». ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، حَتَّى إِذَا**

(١) صحيح الترغيب برقم: (٣٥٦١).

(٢) المسند برقم (١٧١٨٢).

(٣) وهو عند الطبراني، وانظر الصحيحة للألباني برقم: (٣٤٨٤).

خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّىٰ عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا: رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُوهُ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ. قَالَ: فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَيَنْتَهِرُهُ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ. ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ حَسَنُ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ. فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، كُنْتَ وَاللهِ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللهِ، بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَابٌ مِنَ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللهَ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ هَذَا. فَإِذَا رَأَىٰ مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ: رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ؛ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي. فَيُقَالُ لَهُ: اسْكُنْ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ، فَانْتَزَعُوا رُوحَهُ كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ الْكَثِيرُ الشِّعْبِ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ، وَتُنْزَعُ نَفْسُهُ مَعَ الْعُرُوقِ، فَيَلْعَنُهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ لَا تَعْرُجَ رُوحُهُ مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا: رَبِّ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ عَبْدُكَ. قَالَ: أَرْجِعُوهُ؛ فَإِنِّي

عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي. فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ. وَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِهَوَانٍ مِنَ اللهِ وَعَذَابٍ مُقِيمٍ. فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِالشَّرِّ، مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ شَرًّا. ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّىٰ يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَىٰ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ». قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ، وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ[1].

وهنا كلام نفيس للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في كتابه «الروح»، يردُّ فيه علىٰ من يُنكر عذاب القبر، هاكَ ذكره مع تصرف في بعضه للفائدة، يقول: «المسألة السابعة، وهي قول السائل: ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه؟

قالوا: فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميًا صمًّا يضربون الموتىٰ بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين، ولا نيرانًا تأجج، ولو كشفنا حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا علىٰ عينيه الزئبق وعلىٰ صدره الخردل لوجدناه علىٰ حاله، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن

---

(١) مسند أحمد، برقم: (١٨٦١٤).

نجده بحاله، ونجد مساحته علىٰ حد ما حفرناها، لم يزد ولم ينقص؟! وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسُه أو توحشه؟! قال إخوانهم من أهل البدع والضلال: وكُلُّ حديثٍ يخالفُ مقتضىٰ العقولِ والحسِّ يُقطعُ بتخطئة قائله. قالوا: ونحن نرىٰ المصلوب علىٰ خشبة مدة طويلة لا يسأل، ولا يجيب، ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارًا، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرَّقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح؛ كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟! وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟! وكيف يصير القبر علىٰ هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟! وكيف يضيق عليه حتىٰ تلتئمه أضلاعه، ونحن نذكر أمورًا يعلم بها الجواب:

فصل: الأمر الأول: أن يعلمَ أن الرسلَ صلواتُ الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول، وتقطع باستحالته، بل أخبارهم قسمان:

أحدهما: ما تشهد به العقول والفطر.

الثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها؛ كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالًا في العقول أصلًا، وكلُّ خبرٍ يظنُّ أنَّ العقلَ يحيلُه فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون الخبر كذبًا عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسدًا، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ [سبأ: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ أَفَمَن

يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ [الرعد: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ﴾ [الرعد: ٣٦]، والنفوس لا تفرح بالمحال، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٧، ٨٥]، والمحال لا يشفي، ولا يحصل به هدًىٰ ولا رحمة ولا يفرح به، فهذا أمر من لم يستقر في قلبه خير، ولم يثبت له علىٰ الإسلام قدم، وكان أحسن أحواله الحيرة والشك.

فصل: الأمر الثاني: أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلوٍّ ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقْصُر به عن مرادِه وما قصده من الهدىٰ والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصلُ كلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع، فيا محنة الدين وأهله، والله المستعان...» إلىٰ قوله:

«**فصل**: الأمر الثالث: أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثًا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا علىٰ الأبدان والأرواح تبعًا لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة علىٰ ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ علىٰ الأرواح والأبدان تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، والتذت براحتها،

وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذٍ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة، والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ علىٰ الأرواح، فتسري إلىٰ أبدانها نعيمًا أو عذابًا كما تجري أحكام الدنيا علىٰ الأبدان، فتسري إلىٰ أرواحها نعيمًا أو عذابًا، فأحط بهذا الموضع علمًا، واعرفه كما ينبغي؛ يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وقد أرانا الله سبحانه - بلطفه ورحمته وهدايته - من ذلك أنموذجًا في الدنيا من حال النائم؛ فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري علىٰ روحه أصلًا والبدن تبع له، وقد يقوىٰ حتىٰ يؤثر في البدن تأثيرًا مشاهدًا، فيرىٰ النائم في نومه أنه ضُرِب، فيصبح وأثرُ الضربِ في جسمه، ويرىٰ أنه قد أكل أو شربَ، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ.

وأعجبُ من ذلك أنك ترىٰ النائم يقوم في نومه، ويضرب ويبطش، ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعورَ له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرىٰ علىٰ الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحسَّ، فإذا كانت الروح تتألَّم وتتنعم، ويصل ذلك إلىٰ بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ، بل أعظم؛ فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوىٰ، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب علىٰ الأرواح والأجساد ظاهرًا باديًا أصلًا.

ومتىٰ أعطيت هذا الموضعَ حقَّه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب

القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة - مطابقٌ للعقل، وأنه حقٌّ لا مريةَ فيه، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أُتِيَ؛ كما قيل:

وَكَـمْ مِـنْ عَائِـبٍ قَـوْلًا صَـحِيحًا وَآفَتُـهُ مِـنَ الْفَهْـمِ السَّـقِيمِ

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم، ويستيقظ وأثر النعيم علىٰ بدنه، وهذا روحه في العذاب، ويستيقظ وأثر العذاب علىٰ بدنه، وليس عند أحدهما خبر عن الآخر؛ فأمر البرزخ أعجب من ذلك.

فصل: الأمر الرابع: أن الله سبحانه جعل أَمْرَ الآخرة وما كان متصلًا بها غيبًا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار؛ وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فأول ذلك أن الملائكة تنزلُ علىٰ المحتضر، وتجلسُ قريبًا منه، ويشاهدهم عيانًا، ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط، إما من الجنة وإما من النار، ويؤمنون علىٰ دعاء الحاضرين بالخير والشر، وقد يسلِّمون علىٰ المحتضر، ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكَّن من نطقٍ ولا إشارةٍ.

ذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني. فأجلسوه، فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله. ثم رفع رأسه، فأحدَّ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظرًا شديدًا يا أمير المؤمنين. فقال: إني لأرىٰ حضرة ما هم بإنس ولا جن. ثم قبض.

وقال مسلمة بن عبد الملك: لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة فأومىٰ إلينا أن اخرجوا، فخرجنا فقعدنا حول القبة، وبقي عنده وصيف،

فسمعناه يقرأ هذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾، [القصص: ٨٣] ما أنتم بإنس ولا جان. ثم خرج الوصيف فأومىٰ إلينا أن ادخلوا، فدخلنا فإذا هو قد قبض.

وقال فضالة بن دينار: حضرت محمد بن واسع وقد سُجِّيَ للموت، فجعل يقول: مرحبًا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وشممت رائحة طيب لم أشم قط أطيب منها، ثم شخص ببصره فمات.

والآثار في ذلك أكثر من أن تُحْصر.

وأبلغ وأكفىٰ من ذلك كله؛ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾؛ [الواقعة: ٨٣-٨٥] أي: أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا، ولكنكم لا ترونهم، فهذا أول الأمر، وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد، وهو في هذه الدار.

ثم يمد الملك يده إلىٰ الروح فيقبضها، ويخاطبها والحاضرون لا يرونه، ولا يسمعونه، ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس، ورائحة أطيب من رائحة المسك، والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه.

ثم تَصْعَدُ به الملائكة والحاضرون لا يرونهم، ثم تأتي الروح، فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله، وتقول: قدموني قدموني. أو: إلىٰ أين تذهبون بي؟ ولا يسمع الناس ذلك، فإذا وضع في لحده، وسوي عليه التراب، لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه، بل لو نُقِرَ له حجر فأودع فيه، وخُتِمَ عليه بالرصاصِ لم يمنعْ وصولَ الملائكة إليه؛ فإن هذه الأجسامَ الكثيفةَ لا تمنعُ خرقَ الأرواحِ لها، بل الجن لا يمنعها ذلك، بل قد جعل الله سبحانه الحجارة والتراب

للملائكة بمنزلة الهواء للطير، واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات والبدن تبعًا، فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعًا لروحه، وأما عصرة القبر حتىٰ تختلف بعض أجزاء الموتىٰ فلا يرده حسٌّ ولا عقل ولا فطرة، ولو قُدِّرَ أن أحدًا نبش عن ميت، فوجد أضلاعه كما هي لم تختلف؛ لم يمنع أن تكون قد عادت إلىٰ حالها بعد العصرة؛ فليس مع الزنادقة والملاحدة إلا مجرد تكذيب الرسول.

فصل: الأمر الخامس: أن النار التي في القبر والخضرة؛ ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها، وهي أشد من نار الدنيا؛ فلا يحسُّ بها أهل الدنيا؛ فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتىٰ يكون أعظم حرًّا من جمر الدنيا، ولو مسها أهلُ الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان، أحدهما إلىٰ جنب الآخر، وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلىٰ جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلىٰ جاره.

وقدرة الربِّ تعالىٰ أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا إلا من وفَّقه الله وعصمه.

فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن؛ تقع أحيانًا لمن شاء الله أن يريه ذلك.

فصل: الأمر السادس: أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك؛ فهذا جبريل كان ينزلُ علىٰ النبي، ويتمثَّل له رجلًا، فيكلمه

بكلام يسمعه، ومن إلىٰ جانب النبي لا يراه ولا يسمعه، وكذلك غيره من الأنبياء، وأحيانًا يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم، وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط، وتضرب رقابهم، وتصيح بهم، والمسلمون معهم لا يرونهم، ولا يسمعون كلامهم، والله سبحانه قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدثه في الأرض وهو بينهم، وقد كان جبريلُ يقرئ النبي ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه.

وكيف يستنكرُ من يعرفُ الله سبحانه ويُقِرُّ بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر؟! وكثيرًا ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه، ولم ينتفع بالعيش زمنًا، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات، فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتىٰ إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانًا.

وسرُّ المسألة أن هذه السعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار؛ ليس من جنس المعهود في هذا العالم، والله سبحانه إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها، فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبلَ عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببًا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانًا مشاهدًا، فلو كان الميت بين الناس موضوعًا لم يمتنع أن يأتيه الملكان، ويسألاه، من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه، ويضرباه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه، وهذا الواحد منا ينام إلىٰ جنب صاحبه فيعذب في

النوم، ويضرب، ويألم، وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة، وقد سرىٰ أثر الضرب والألم إلىٰ جسده(١).

۞ فائدة: حصل خلاف بين أهل العلم هل السؤال في القبر مختص بهذه الأمة، أو يكون لها ولغيرها؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه خاص بهذه الأمة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل، واعتزلوهم، وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث محمد ﷺ بالرحمة إمامًا للخلق؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أمسك عنهم العذاب، وأعطي ؤالسيف؛ حتىٰ يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فأمهلوا، فمن ثم ظهر أمر النفاق، وكانوا يسرون الكفر، ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتَّاني القبر ليستخرجا سرهم بالسؤال.

واحتج أهل هذا القول بقوله ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلىٰ في قبورها**»، وبقوله: «**أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**»، وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة، ويدل عليه قول الملكين: «**ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟**».

القول الثاني: أن السؤال في القبر لهذه الأمة ولغيرها، وأجاب أصحاب هذا القول عن أدلة القول الأول بأنها لا تدل علىٰ الاختصاص بالسؤال لهذه الأمة دون سائر الأمم.

وقوله: «**هذه الأمة**»: إما أن يراد به أمة الناس؛ أي: بني آدم؛ كما في قوله

---

(١) الروح، لابن القيم، ص(٧٦).

تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكل جنس من أجناس الحيوان يسمىٰ أمَّة، وإن كان المراد أمته ﷺ لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم؛ لأنه إخبار لهم بأنهم يسألون في قبورهم، وكذلك حديث: «**أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم**»، مجرد إخبار لا ينفي سؤال غيرهم.

القول الثالث: التوقُّف في هذه المسألة؛ لأن الأدلة في ذلك محتملة، وليست قاطعة في الاختصاص، والله أعلم(١).

فائدة أخرى: بأي لغة يسأل الميت في قبره؟

يقول الشيخ ابن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بأي لغةٍ يُسأل؟

قال بعض العلماء: يُسأل بالسريانية، سبحان الله السريانية لغة النصارىٰ، والظاهر - والله أعلم - أن هذا القول مأخوذٌ من النصارىٰ؛ لأجل أن يفتخروا ويقولوا: لغتنا لغة السؤال في القبر لكل ميت.

والذي يظهر أنه يُسأل بما يفهم، ولو أننا أردنا أن نفضِّل لغةً علىٰ لغة لفضَّلنا العربية؛ لأنها لغة أمة محمد، الواجب علىٰ الأمة بعد بعثة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الأمة كلها أن تكون لغتهم اللغة العربيَّة.

لكن علىٰ كل حال الذي يظهر لنا - والعلم عند الله - أن الإنسان يُفَهَّم؛ إن كان من العرب فباللغة العربية إن كان من غير العرب فبلغته»(٢) اهـ.

قوله:

(هــذا اعتقــادُ الشــافِعِيِّ ومالــكٍ ... وأبــي حنيفــةَ ثــم أحمــدَ يُنْقَــلُ

---

(١) الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد ص(٢٢٦).

(٢) شرح السفارينية ص(٢٣٥).

فــإنِ اتَّبَعْــتَ ســبيلَهُمْ فَمُوَفَّــقٌ وإنِ ابْتَـدَعْتَ فَمـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ)

هذا إشارة إلىٰ أن ما تكلَّم به رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيان العقيدة؛ هو الذي كان الأئمة ماشين عليه، ويعتقدونه، وذكر الأئمة الأربعة لشهرتهم، وإلا فهذا مذهب الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام.

(الشافعي):

قال الذهبي: الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ، مُحَمَّدُ بنُ إِدْرِيسَ بْنِ العَبَّاسِ بنِ عُثْمَانَ بنِ شَافِعِ بنِ السَّائِبِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ بنِ هِشَامِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلَابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ، الإِمَامُ، عَالِمُ العَصْرِ، نَاصِرُ الحَدِيثِ، فَقِيهُ المِلَّةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ القُرَشِيُّ، ثُمَّ المُطَّلِبِيُّ، الشَّافِعِيُّ، المَكِّيُّ، الغَزِّيُّ المَوْلِدُ، نَسِيبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنُ عَمِّهِ، فَالمُطَّلِبُ هُوَ أَخُو هَاشِمٍ وَالِدِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

اتَّفَقَ مَوْلِدُ الإِمَامِ بِغَزَّةَ، وَمَاتَ أَبُوهُ إِدْرِيسُ شَابًّا، فَنَشَأَ مُحَمَّدٌ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّهِ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، فَتَحَوَّلَتْ بِهِ إِلَىٰ مَحْتِدِهِ وَهُوَ ابْنُ عَامَيْنِ، فَنَشَأَ بِمَكَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الرَّمْيِ حَتَّىٰ فَاقَ فِيهِ الأَقْرَانَ، وَصَارَ يُصِيبُ مِنْ عَشَرَةِ أَسْهُمٍ تِسْعَةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ العَرَبِيَّةِ وَالشَّرْعِ، فَبَرَعَ فِي ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الفِقْهُ، فَسَادَ أَهْلَ زَمَانِهِ.

وَأَخَذَ العِلْمَ بِبَلَدِهِ عَنْ: مُسْلِمِ بنِ خَالِدٍ الزَّنْجِيِّ مُفْتِي مَكَّةَ، وَدَاوُدَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ العَطَّارِ، وَعَمِّهِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ شَافِعٍ، فَهُوَ ابْنُ عَمِّ العَبَّاسِ جَدِّ الشَّافِعِيِّ[1].

قوله: (ومالك):

قال الذهبي: مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ المَدَنِيُّ، هُوَ شَيْخُ الإِسْلَامِ، حُجَّةُ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٣٥).

الأُمَّةِ، إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مَالِكُ بنُ أَنَسِ بنِ مَالِكِ بنِ أَبِي عَامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ الحَارِثِ، وَهُوَ ذُو أَصْبَحَ بنُ عَوْفِ بنِ مَالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ شَدَّادِ بنِ زُرْعَةَ، وَهُوَ حِمْيَرُ الأَصْغَرُ الحِمْيَرِيُّ، ثُمَّ الأَصْبَحِيُّ، المَدَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي تَيْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَهُم حُلفَاءُ عُثْمَانَ أَخِي طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ أَحَدِ العَشَرَةِ.

وَأُمُّهُ هِيَ: عَالِيَةُ بِنْتُ شَرِيكٍ الأَزْدِيَّةُ.

مَوْلِدُ مَالِكٍ عَلَىٰ الأَصَحِّ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَشَأَ فِي صَوْنٍ وَرَفَاهِيَةٍ وَتَجمُّلٍ، وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حدثٌ بُعَيْدَ مَوْتِ القَاسِمِ وَسَالِمٍ[1].

قوله: (وأبي حنيفة):

قال الذهبي: الإِمَامُ، فَقِيهُ المِلَّةِ، عَالِمُ العِرَاقِ، أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بنُ ثَابِتِ بنِ زُوطَىٰ التَّيْمِيُّ، الكُوفِيُّ، مَوْلَىٰ بَنِي تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ.

يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الفُرسِ، وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِينَ، فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ[2].

قوله: (ثم أحمد يُنقل):

قال الذهبي: هُوَ الإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الإِسْلَامِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلِ بنِ هِلَالِ بنِ أَسَدِ بنِ إِدْرِيسَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ حَيَّانَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ قَاسِطِ بنِ مَازِنِ بنِ شَيْبَانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكَابَةَ بنِ

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ١٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٥٢).

صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ الذُّهْلِيُّ، الشَّيْبَانِيُّ، المَرْوَزِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ(١).

قوله:

(فَـإِنِ اتَّبَعْـتَ سَـبِيلَهُمْ فَمُوَفَّـقٌ وإنِ ابْتَـدَعْتَ فَمـا عَلَيْـكَ مُعَـوَّلُ)

أي: فإن اتبعت سبيل هؤلاء فأنت موفق، وإن أحدثت بدعًا في دين الله، واعتقدت غير العقيدة الصحيحة؛ فما عليك معولٌ؛ أي: فلا يعتمد عليك، ولا يؤخذ منك؛ لأن كل بدعة ضلالة.

❁ ❁ ❁

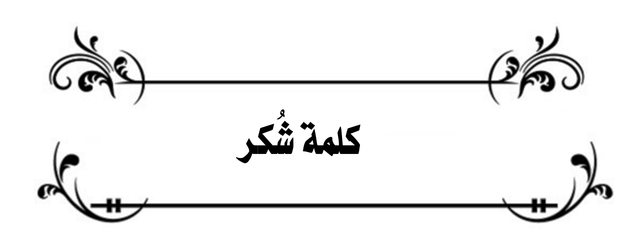
إلىٰ هنا انتهينا بفضل الله وحده من هذا الشرح للأبيات المذكورة، والله المسئول أن ينفع به الإسلام والمسلمين، ونسأله أن لا يجعل لأحد من خلقه فيه نصيبًا، بل يجعله خالصًا لوجهه؛ إنه سميع مجيب.

أخي القارئ الكريم، هذا عمل بشر يعتريه نقصٌ وخطأ، فإن لاح لك خطأ فلا تنس محرر هذا من النُّصح تجده لك ذخرًا بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢).



كلمة شُكر

وفي الختام أسأل الله العظيم أن يبارك في والديّ، وأن يرحمهما كما ربياني صغيرًا، ونسأله أن لا يحرمهما من الأجر في الدنيا والآخرة.

ونسأله سبحانه أن يبارك في شيخي ومعلمي فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله الإمام، نسأل الله أن يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله؛ إن ربي سميع الدعاء، كما نسأله أن يبارك في علمه وأهله وذريته، وأشكر أيضًا شيخي الداعية الكبير عبد الله بن عثمان الذماري - حفظه الله تعالىٰ -، ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يبارك له في وقته وعلمه وأهله وذريته.

والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو عمار وهبان بن مرشد الموادعي

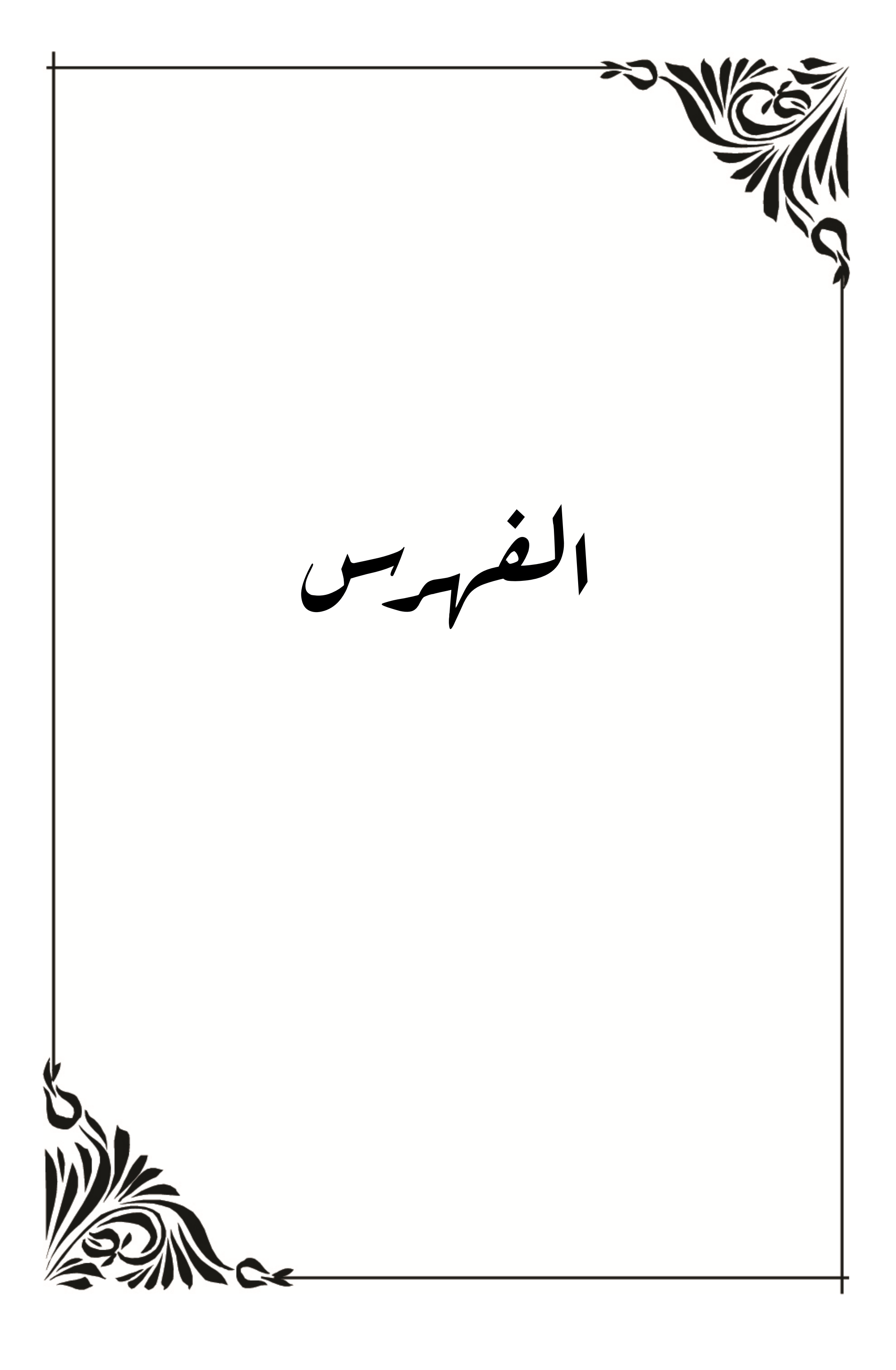
دار الحديث للعلوم الشرعية

مسجد ذي النورين

اليمن - ذمار

بارك الله فيمن بناه وفي القائمين عليه





الفهرس





الفهرس

